مجلة
وطني
Watany
ثقافية ـ تصدر شهريا ـ
تصدر عن التجمع الشعبي العربي
العدد 39 أكتوبر 2025 م

الهجوم المزدوج
بطولتا الشهيدين عبد المطلب القيسي وماهر الجازي في معبر الكرامة

بعد محاولة اغتيال قادة المفاوضات في قطر
After the assassination attempt on the negotiating leaders in Qatar

سلسلة قضايا التدبّر
" غياب التدبّر حين يفقد الدين جوهره " ((الحلقة الثانية))

- معادلة الرُشد والهُدى.. هل أتقنّا التعامل معها؟!!! (سادسًا).
- غزّة، مرآة وزلزال
- منطقة الصفر الحفر الثقافي بين الحضور والغياب

مجلة وطني Watany

مجلة ثقافية ـ تصدر كل شهر
عن التجمع الشعبي العربي
العدد 39 أكتوبر 2025 م

شروط النشر في المجلة :

- ترسل المواد لبريد المجلة ، و المراسلات باسم السيد رئيس التحرير.

watanymagazine2020@gmail.com

- المواد المرسلة للمجلة يجب أن تكتب في ملف word
- المواد المترجمة عن لغات أخرى غير العربية ، يتم إرفاق نسخة عن النص بلغته الأصلية .
- المواد المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو التجمع الشعبي العربي ، بل هي تعبر عن رأي كاتبها .
- يجب مراعاة ضوابط النشر الأخلاقية.
- ترفق مع المادة سيرة ذاتية موجزة للكاتب.
- تنظر المجلة و بعناية إلى المواد التي ترسل و برفقتها صور أو رسوم أو وثائق لدعم المادة المطلوب نشرها .
- ترتيب المواد و الأسماء يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تقبل المواد المنشورة أو المقدمة لدوريات أخرى.

الإشراف العام
أ.د سعد العتابي

رئيس التحرير
د. طلال خير الله

نائب رئيس التحرير
د. محمود عبد القوي الشيخ

إدارة التحرير
د. شاكر صبري حافظ
فيفي فاروق عوضين

سكرتارية التحرير و النشر الإلكتروني
سها أكرم أبو غالي
نوال عودة

إدارة العلاقات العامة
رستم عبد الله
لطيفة محمد حسيب القاضي
د. كمال دفع الله بخيت
أ. خالد الحديدي
أ. ميرغني ابشر عثمان

الإخراج الفني
أحمدبن عفيف النهاري

لوحة غلاف المجلة
الفنان التشكيلي الأردني عمر بدور
فواصل المجلة الداخلية الفنانين خالد هنو و عمر بدور

موقع مجلة وطني Watany على الشبكة :
https://wataniwebsite.com/

مجلة وطني Watany على صفحة الفيس بوك :
https://www.facebook.com/wataniun

أهلاً و سهلاً : رسالة من أبي القاسم الشابي: إلى غوستافو بيترو "الكلمة في وجه الطغيان.. لا تموت"..... 4
طلة : معادلة الرشد، والهدى.. هل أتقنا التعامل معها ؟!!! (سادسا) 5
قضية العدد : سلسلة قضايا التدبّر " غياب التدبّر حين يفقد الدين جوهره " ((الحلقة الثانية)) 9
طوفان الأقصى .....
الملح 13
بودكاست هكذا أفهمه.. 14
و ماذا بعد ضرب اليمن لإسرائيل؟ نهاية إسرائيل 15
المقامة الغزيَّة 18
قبرٌ.. وخُوذَةُ جندي 19
غزّة، مرآة وزلزال 20
الإنسانية 21
مساحة حرة : من كومبارس إلى حلبة مصارعة لمشهد دولي، فهل لنا بمن يعي ويستعد؟ 36
مرايا .....
منطقة الصفر، الحفر الثقافي بين الحضور والغياب 38
الوداع .. رجل المستحيل 40
كيف نفكر عربياً .. ؟! 42
حرية الصحافة، بين مطرقة السياسة وسندان الاقتصاد 44
ثقافة عقول وعربة فول 45
قلم حر : .....
عجائب الكذب السياسي تطوينا 46
سلموا سلاحكم حتى نذبحكم ولا نترك منكم بشر 48
نتنياهو وحلم "إسرائيل الكبرى": أيديولوجيا توراتية أم مشروع توسعي يهدد الشرق الأوسط؟ 50
الهجوم المزدوج بطولتا الشهيدين عبد المطلب القيسي وماهر الجازي في معبر الكرامة 51
مثاقفات عربية : .....
التُّراث في أطيافِ الاغتراب قراءةٌ في ديوان «للغُرَباءِ والمنفى» للشاعرة السورية ريمِ البيّاتي 54
الحبكة ذات الحدث المتصاعد في شعر محمد عبدالله البريكي 58
التغيّر والتحوّل الدلالي في ديوان (فرصة حب) للشاعرة الفلسطينية همسة يونس 61
تحريك الشرر من تحت الرماد في رواية (أطياف) للكاتبة والاديبة وفاء داري 63
« صنعائي » رواية للأديبة اليمنية نادية الكوكباني، انطباع قارئ للرواية، وليست قراءة نقدية 70
الـلا مبالاة في مجموعة " آنستُ نورًا " القصصية للقاص السوداني: حسين محمد خاطر قراءة تحليلية 72
سياحة : أديس أبابا: قرطبة القارة السمراء، حيث ولدت لوسي وبُرعمُ الوحدة 76
قطوف دانية : .....
وفي هذه الأرض 80
عند بوابة الفقد 81
الموسم الماطر، قصة قصيرة 83
سجال الفطاحل 84
غزوة و قصص أخرى 85
المكافأة، قصة قصيرة 86
بالرفاء و البنين 89
الكلمة المؤجلة 90
دفتر التعب 91
ميلادي 92
معراج الصّعود 46، على شرفة الانتظار 93
بيوتنا القديمة.. ذاكرة لا تغادرنا 94
في محطة القطار، قصة قصيرة 95
أدب الأطفال : حِكاياتُ الجَدَّةِ صَفاء قصة للأطفال ـ للمرحلة السنية (8-12) سنة 98
الواحة 102
أنفاس الشعور : الشّرفُ الأسمى 109
همسة : من المهادنة إلى المواجهة، بيترو يؤكد أن المواجهة هي الحل 110

رسالة من أبي القاسم الشابي: إلى غوستافو بيترو "الكلمة في وجه الطغيان.. لا تموت"

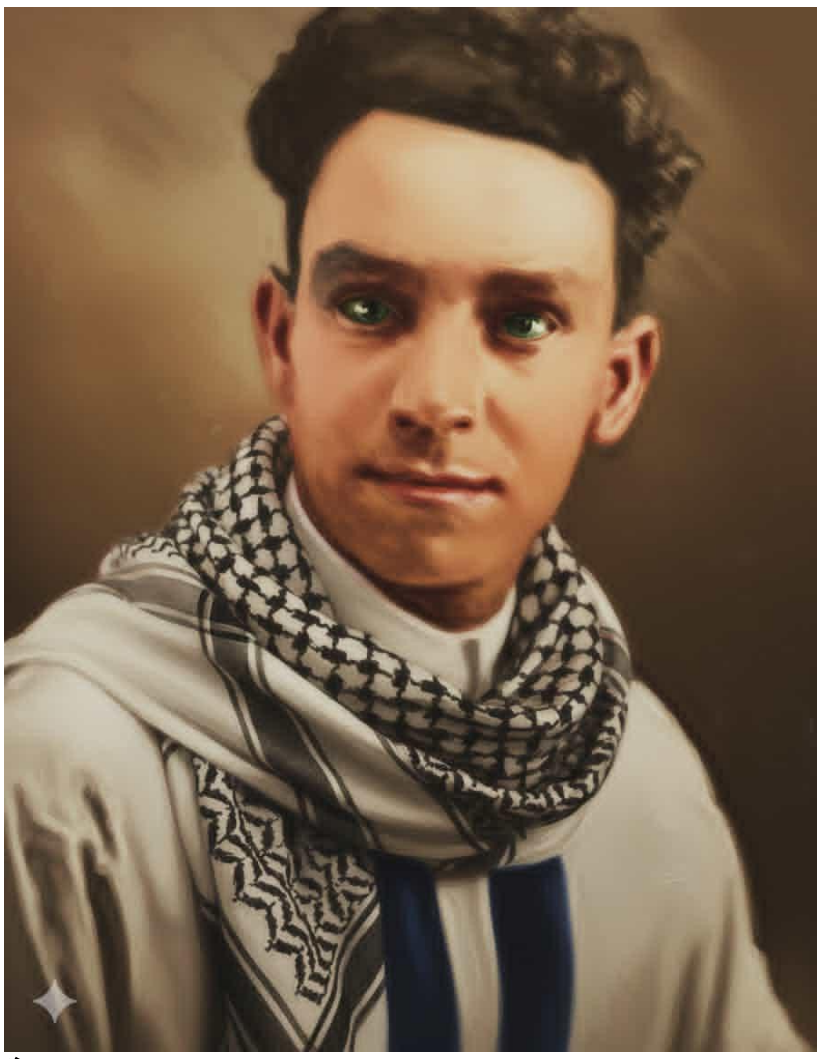

بين ماضي الشعر المقاوم وحاضر السياسة المأزوم، لتقول إن كلمات شاعر شاب شخصت المشهد العام لمفاوضات تحت السلاح، فقد رحل في ريعان العمر، ولا تزال أصلب من وعود الساسة الكذابين، وأبقى من خطابات أوهام القوة والنصر.

▪ وليس بعيدًا عن هذا المعنى، ارتفع صوت فخامة رئيس كولومبيا غوستافو بيترو، في قلب (ماما أمريكا)، صارخًا: **Freedom for Palestine**، ليؤكد أن الكلمة الصادقة في وجه الطغيان قادرة على أن تتجاوز الحدود وتزلزل أركان الغطرسة، من تونس الشابي إلى أصوات أحرار العالم، لتبقى محاربة الطغيان رسالة وجهاد.

▪ تناقلت وكالات الأنباء والشاشات ووسائل التواصل التي كشفت كل غطاء، حول "غطرسة القوة"، وما يتصل بوعود ترمب ونتنياهو وتوني بلير، فتوقّفت جلها عند ومضة شعرية فارقة، مستحضرة صدح الشاعر التونسي الكبير أبي القاسم الشابي - يرحمه الله -، كأنما أراد أن يذكّر الحاضر بأنّ التاريخ والأدب أسبق من الساسة في فضح الطغيان والتنديد بالظلم، فجاءت أبياته تصدح:

ألا أيُّهَا الظَّالِمُ المُســـــتَبِدُّ

حَبَاتُ الرَّدَى كَامِنٌ فِي الشَّغَرْ

ليواصل في قصيدته الشهيرة (نشيد الجبّار):

تَمَتَّعْ بِسَلْطَانِكَ الجَبَرُوتِي

فَطُولُكَ مَحفُوفٌ بِغَيْمٍ كَثِيفْ

وَمَجْدُكَ مَبْنِيٌّ عَلَى شَفَةٍ

سَتَسقُطُ حَتْمًا وَيَهْوِي الصَّرِيفْ

إذَا مَا طَمَتْ فِي الفُؤَادِ الحَيَاةُ

فَلا أَمْنَ يَحْمِي وَلا مَنْجَأُ

سَيَجْرِي عَلَيْكَ شَرَارُ الغَضَا

وَيَسْقُطُ ظِلّكَ وَيَنْحَلُّ ضَوْءْ

▪ بهذه الأبيات كأن الشابي يخاطب الطغاة والمستبدين في زمانه، لكنّ صدى قصيدته يظل ممتدًا في كل عصر، إذ يعيد إلى الأذهان حقيقة أن الغطرسة مهما اشتدّت لا بد أن تنكسر عند حدود عدالة الناموس الكوني ومفاصل التاريخ وصحوة الشعوب. وهكذا بدا استدعاء قصيدته بمثابة جسر

وأما على مستوى ما هو ضد الهدى

فسنجد الضلال -والعياذ بالله-. وسنناقشه أحبتي الأعزاء هنا من القرآن الكريم، الثابت الوحيد، وما عداه متحرك من الذرّة إلى المجرّة، حول ماهيته وأسبابه وعواقبه وكيفية تجنبه:

- **معاني الضلال في القرآن الكريم:**

الضلال في القرآن الكريم يعني الحَيْد والعدول عن طريق الحق، وهو ضد الهدى والهداية. وهناك العديد من المعاني للضلال في القرآن الكريم، تشمل أبعاداً لعدة محاور خطرة للغاية، سنحاول تقريبها وفهمها ما استطعنا لذلك سبيلاً:

- **الضلال الذي هو ضد الهدى:** {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} (الأنعام: 125).
- **الغفلة:** {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ} (الضحى: 7)، أي عمّا يراد بك من أمر النبوة العظيم وعِظَم المسؤولية.
- **الجهل:** {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} (الشعراء: 20)، أي أنا من الجاهلين. إذ الجهل كارثة قد تؤدي بك إلى الردى في الدنيا والآخرة، وقد تدخلك جهنم دون أن تعي.
- **الهلاك:** {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} (السجدة: 10)، أي هلكنا وصرنا تراباً.

النسيان: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ} (البقرة: 182).

- **الخطأ:** {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} (القلم: 26)، أي أخطأنا الطريق.
- **إحباط العمل:** {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد: 1).
- **البعد عن الحق:** {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} (الملك: 9).
- **الخسران:** {وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (غافر: 25)، أي خسران مبين يصدم به أي كافر كائد.
- **الصدّ عن الهدى:** {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} (النساء: 119).
- **أسباب الضلال في القرآن الكريم:**
- **الكفر:** {وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} (البقرة: 108).

- **الشرك:** {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء: 116).
- **الشيطان:** {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (الحج: 4).
- **اتباع الهوى:** {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (ص: 26).
- **صحبة رفيق السوء والبيئة الفاسدة:** {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} (الفرقان: 27).

- وسيبقى "السؤال البريء" - بقدرة المولى - مستمرًا معنا في:

{ معادلة الرُشد، والهُدى... هل أتقنّا التعامل معها؟!!! (سابعاً) }

وكفى بود.

📍 فاصلة:

- يقول أمير المؤمنين -كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه-: {اللسان سراج العقل}.

📌 نهج البلاغة

صدور كتاب "أطياف فكرية" عن دار النخبة
للكاتب السوداني إبراهيم حسين آدم "دربات"

القاهرة | وطني

صدر عن دار النخبة للطباعة والنشر والأبحاث كتاب "أطياف فكرية" للكاتب السوداني إبراهيم حسين آدم "دربات"، ويضم مقالات في الأدب والسياسة والثقافة والنقد والفكر الإسلامي.

يصف المؤلف تجربته مع المقالة بأنها فعل وجود قبل أن تكون فعل كتابة، إذ وُلدت بعض النصوص في هدوء ما قبل العاصفة، وأخرى من رحم الحرب التي عصفت بالسودان، فيما حملت مقالات الغربة نبرة حنين ومقاومة بالكلمة، لتغدو المقالة عنده وطنًا بديلًا ونافذة على الماضي والمستقبل.

عن الكاتب:

من مواليد شمال دارفور – السودان (محلية الطويشة).

يدرس بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

كاتب روائي وناقد، ونائب رئيس تحرير مجلة الأبنوس الثقافية 2024م.

من إصداراته:

رواية عنق الزجاجة – دار الرحمة، القاهرة 2024م.

رواية صفق العنب – دار الرحمة، القاهرة.

"العلم المفتوح"...
كتاب جديد يدعو لإنهاء احتكار النشر العلمي

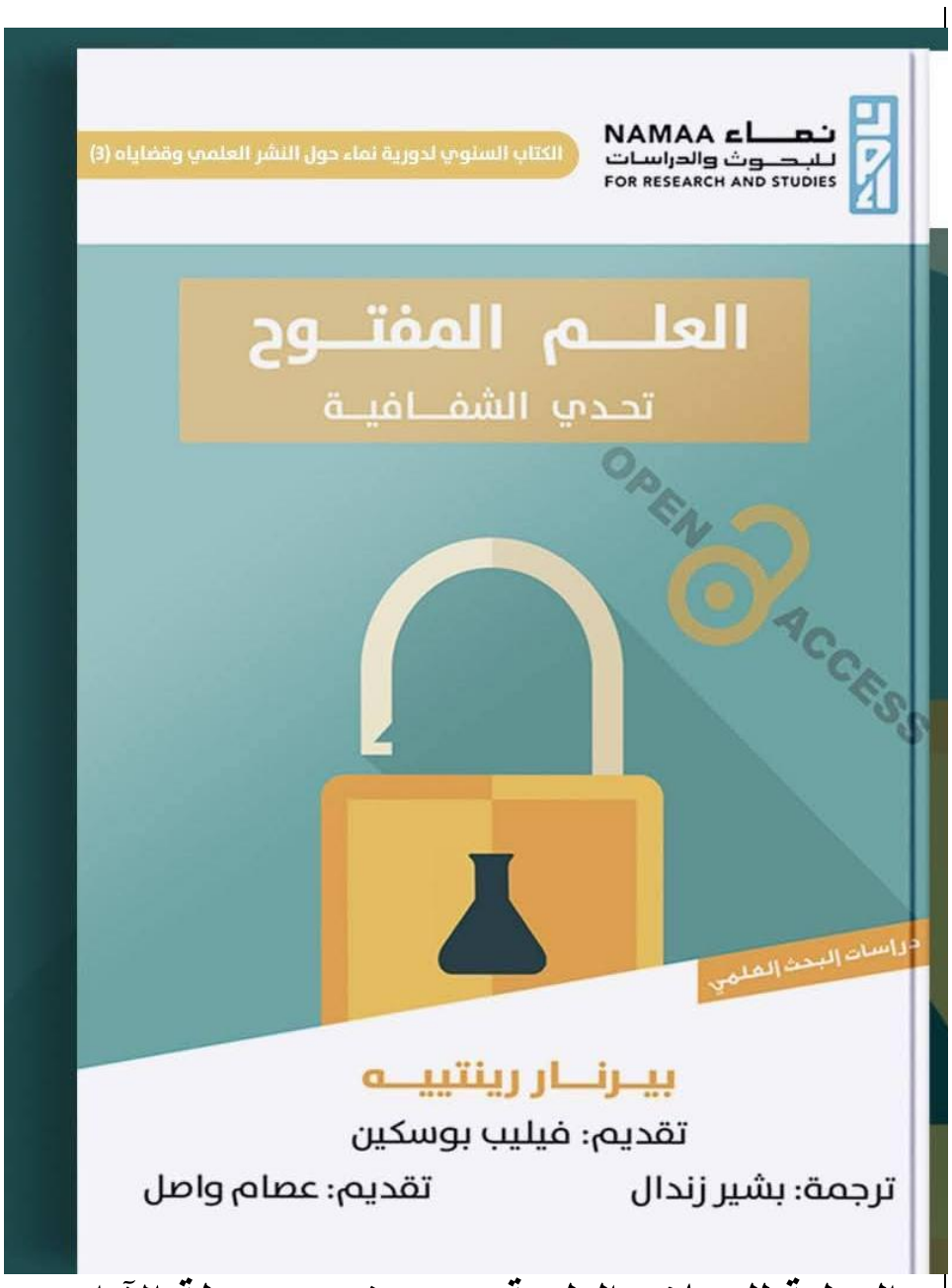

ذمار | وطني

صدر حديثًا عن مركز نماء للبحوث والدراسات كتاب مترجم بعنوان "العلم المفتوح: تحدي الشفافية" للكاتب البلجيكي بيرنار رينتييه، ومن ترجمة د. بشير زندال.

يناقش الكتاب قضية "العلم المفتوح" (Open Access)، ويدعو إلى جعل المعرفة العلمية والبحوث متاحة مجانًا للجميع. يسلط الكتاب الضوء على احتكار عمالقة النشر العلمي، التي تسيطر على أغلب ميزانيات التوثيق الجامعي في العالم. يصف المؤلف هؤلاء الناشرين بـ "القروش" لأنهم يستنزفون الباحثين والقراء ماليًا، حيث يُجبر الباحث على دفع رسوم باهظة لنشر بحثه، بينما يُلزم القارئ بشراء البحث للاطلاع عليه.

ويعرض الكتاب تجربة رائدة قام بها المؤلف عندما كان رئيسًا لجامعة لييج في بلجيكا، حيث منع الباحثين في جامعته من النشر في المجلات التي تفرض رسومًا، وجعل جميع الأبحاث مجانية الوصول. نجحت هذه التجربة وتم تعميمها على أغلب الجامعات البلجيكية.

يُعد هذا الكتاب هو الثاني في الموضوع نفسه الذي يترجمه د. بشير زندال، ويصدر عن مركز نماء، بعد كتاب "قل لي من يستشهد بك، أقل لك من أنت". يقدم للكتاب د. عصام واصل، الأمين العام للجمعية الدولية للمجلات العلمية ومدير تحرير مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية بجامعة ذمار.

وجاء في كلمة الناشر:

"يناضل كثير من العلماء والمبتكرين من أجل سيادة ما يُعرف بـ العلم المفتوح والنشر المفتوح، وذلك لتفكيك قبضة النشر المغلق. يطرح الكتاب فكرة الانفتاح والتكامل في البحث العلمي، وكأنه يطرح السؤال: ما جدوى العلم إن لم يكن علمًا مفتوحًا؟"

صدور المجموعة القصصية "عاصفة أنثى"

للكاتب والمخرج السوري مصطفى الشحود

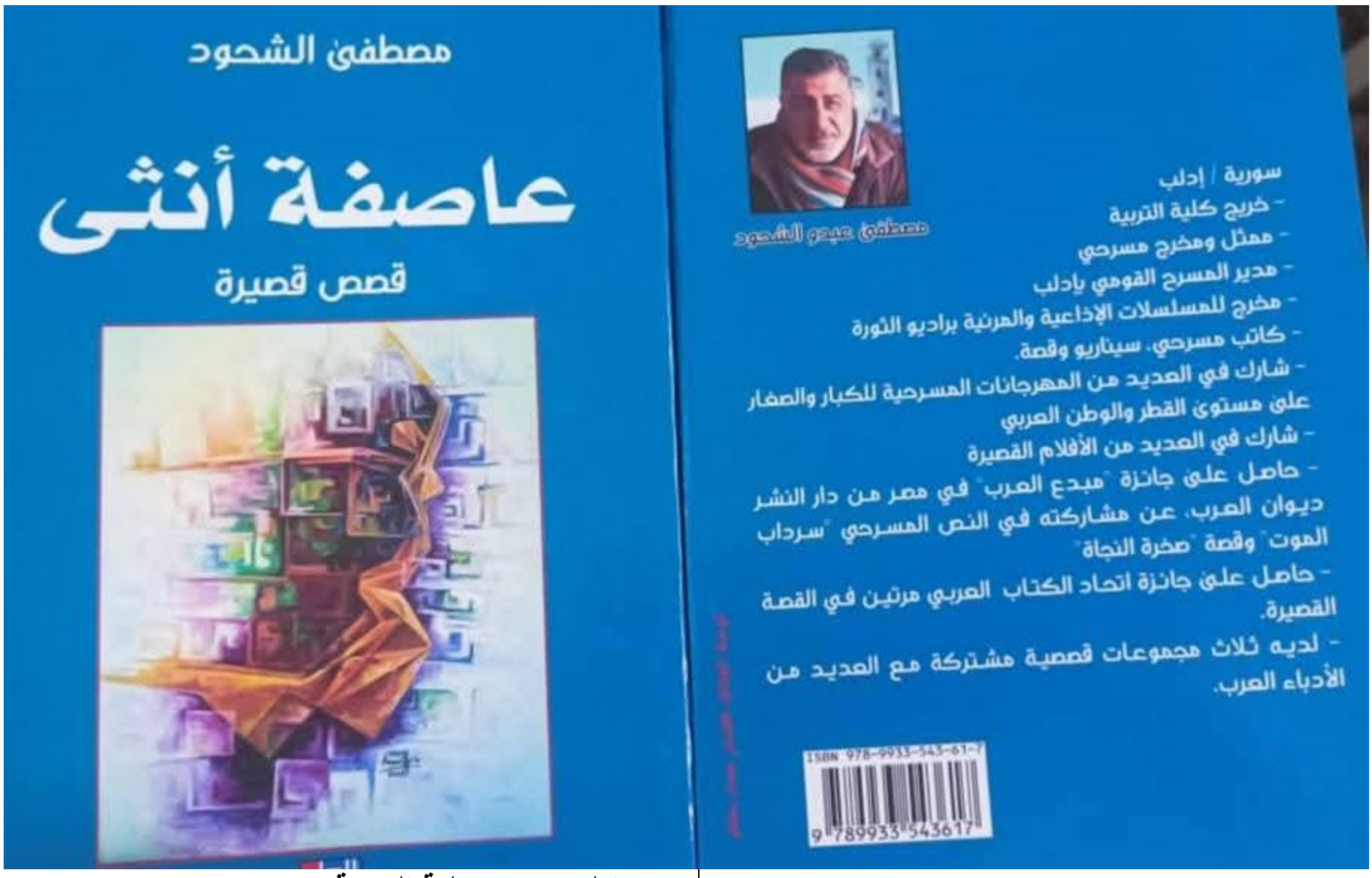

دمشق . وطني

صدر عن دار العراب للنشر والتوزيع بدمشق كتاب "عاصفة أنثى" للكاتب والمخرج السوري مصطفى الشحود، وهي مجموعة قصصية قصيرة تعكس سنوات من الإصغاء والتأمل في وجوهنا التي لا تنكسر، وفي الحكايات التي تنبت من الرماد. يقول الشحود عن مجموعته: "كتبتها وأنا أستحضر نساءً من الذاكرة، ومن تراب إدلب، ومن صمتها التي لا تنام. لكل من آمن بالكلمة، ولكل من جعل من المسرح والقصّة بيتًا، أهدي هذا العمل."

تزين غلاف المجموعة لوحة للفنان التشكيلي عمار سفلو، ويعكس محتوى الكتاب عمق التجربة الإنسانية في سياق سوري معاصر، حيث تتشابك القصص بين الذاكرة والمكان والصمود.

نبذة عن الكاتب

مصطفى الشحود

من إدلب، خريج كلية التربية.

ممثل ومخرج مسرحي، ومدير المسرح القومي بإدلب، ومخرج للمسلسلات الإذاعية والمرئية براديو الثورة.

كاتب مسرحي وسيناريو وقصة، وشارك في العديد من المهرجانات المسرحية للأطفال والكبار على مستوى الوطن العربي، إضافة إلى عدة أفلام قصيرة.

حاصل على جائزة "مبدع العرب" في مصر من دار النشر ديوان العرب عن مشاركته في النص المسرحي سرداب الموت وقصة صخرة النجاة.

فاز مرتين بجائزة اتحاد الكتاب العرب في القصة القصيرة، وله ثلاث مجموعات قصصية مشتركة مع عدد من الأدباء العرب.

"عاصفة أنثى" إذن ليست مجرد مجموعة قصصية، بل شهادة أدبية على الصمود والذاكرة والمكان، ونصوص تُعيد الاعتبار للكلمة في زمن العواصف والصمت

سلسلة قضايا التدبّر

" غياب التدبّر حين يفقد الدين جوهره "

« الحلقة الثانية »

إعداد : فريق قضية العدد

▪ في هذا الجزء الثاني، نتابع البحث في إشكالية غياب التدبر حين يفقد الدين جوهره. إنها إشكالية لا تتعلق بالطقوس وحدها، بل تمسّ جوهر العلاقة بين الإنسان والنص، بين الروح التي أرادها الله حرّة متفكّرة، وبين تراكمات ثقافية وتاريخية كبّلتها. وفي هذا الجزء، نركز على حقيقة أن الدين جسدٌ وروح، وأن غياب التدبر هو الفراغ الذي سمح للنص بالتحول إلى مادة خام للنقد الميثولوجي أو للجمود الطقسي.

أولاً: غياب التدبر والبنية الحكائية: الفراغ الذي يملؤه النقد اللاديني

يطرح ميرغني أبشر، الباحث والكاتب الروائي السوداني، الإشكالية المركزية من زاوية النقد المعاصر:

"حين نتأمل في مقالات اللادينيين، يتضح أن أطروحتهم التي تتحدث عن البنية المثولوجية للقرآن الكريم إنما تجد سندها الأكبر في غياب التدبّر في كتب التفسير الأولى، حيث انشغل السلف بنقل مرويات يغلب عليها طابع إثبات الإعجاز التاريخي للسرديات القرآنية، دون مساءلة أو قراءة عقلية معمقة."

ويشدد على أن هذا الموجه من التفسير:

"أسهم بقدر كبير في جعل النص المقدس عرضة للسخرية، وأتاح لكتابات اللادينيين أن تجد لها ما تعضد به دعواها. فالنص القرآني، في تصوراتهم، يتخذ بنيته الحكائية من حكي إعجازي ورد في التراث، ومن تفاسير ذات طابع ميثي رسختها متون التراث الإسلامي."

ويحلّل ميرغني استنجاد القمني بالشعر الجاهلي ليؤكد:

"ابتداءً، نجد أن صاحبنا لم يغادر ورطة المنقول الديني والموروث الثقافي، وزاد على ذلك تغييبه إعمال العقل في متون هذا المنقول، مكتفياً بنقله الأمين لما يعضد مطروحة القصد."

وتضيف د. فرح الجوهري تأكيداً لهذا المآل:

"غياب التدبر يؤدي إلى تحويل النصوص الإلهية إلى مجرد شعارات، ما يفتح المجال لسوء الفهم والتفسير الخاطئ، خصوصًا عندما يغيب السياق التاريخي والثقافي للنص."

ثانياً: التدبّر وحرية الوعي: التقاء السند الشرعي والروحي

يستند الفهم الحقيقي للدين إلى التكامل بين عنصريه الأساسيين، كما يشرح محمد قردش:

"الدين جسدٌ وروح. السند الشرعيُ والسند الروحيُّ يكملان بعضهما. القرآن والسنة يمثلان السند الشرعي (الجسد)، وحاملُ النصِّ الشرعيِّ ومؤوِّلُه يمثلان السندَ الروحيَّ (الروح)."

ويرى قردش أن: "الحلقةُ المفقودة هنا هي روحُ النصّ، السندُ الروحيُّ الذي يُؤخذُ عنه ويُؤوَّلُ النصُّ كما جاء، ليضعَ المسلمَ على جادةِ الصواب، متوازنًا في قراراته."

فيما تحدد فدوى كدّور التدبر كآلية للتحرر من الجمود الذي يولده غياب الروح:

"حين يغيب التدبّر، يتحوّل الدين إلى صَدَفة فارغة، وطقس أجوف لا يتجاوز حركات الجسد. فالرسالات السماوية لم تُبعث لتثقل الإنسان بتكديس الأوامر والنواهي، بل جاءت لتوقظ بصيرته على معنى الحرية الداخلية."

وتشدد كدّور على أن:

"التدبّر ليس ترفًا معرفيًا، بل هو شرطٌ وجودي لكل مؤمن صادق؛ لأنه وحده الكفيل بتحويل النص من جدار يُقيد العقل إلى نافذة تفتح على الكرامة والعدل والمعنى. من دون التدبّر، يتحول النص إلى سلطة صامتة تستعبد الإنسان باسم القداسة، بينما هو في حقيقته دعوة إلى الحرية وارتقاء الوعي."

ويقدم قردش خلاصة الغياب الروحي:

"ويومَ نُحِيَ عن عرشه ليحلَّ محله حاملُ النصِّ دونما سندٍ روحيٍّ، أَفْتَى بغير علمٍ وأَخضعَهُ

للهوى، فأفقدَ الإسلامَ روحه ليبقى عليه نصٌّ مجردٌ أجوفٌ صلدٌ."

ثالثاً: التدبر والوعي الديني المتجدد

يؤكد إبراهيم حسين دربات على دور الكاتب والمثقف في بناء وعي ديني إنساني متجدد:

"المثقف الحقيقي لا يكتفي بترديد الشعارات... بل يغوص في الجذور الأولى للوعي، لينقّيها من الشوائب التي راكمها التأويل المتعصب، والتلقين الأعمى، واحتكار الحقيقة باسم الدين."

وتضيف د. سلوى إدريس والي:

"التدبر ليس فقط فهم النصوص، بل هو عملية نقد ذاتي ومجتمعي. لا يمكن بناء وعي ديني صحيح إلا من خلال مراجعة الأسس الفكرية..."

ويؤكد محمد قردش على النتائج العملية لهذا الفهم:

"إنسانيةُ الإنسانِ وحياتُه بعلمهِ وعملهِ هي محورُ الدين... فالدينُ جِئَ به ليضبطَ حياةَ الإنسانِ لا ليعتزلَها. ليحييَ الإنسانَ لا ليُميّتَه."

رابعاً: الدين والسياسة والنقد الثقافي

يقدم عادل الأمين منظورًا تكامليًا:

"إن الأديان في جوهرها عقيدة إنسانية عالمية مركزها الفرد وحدودها العالم، بينما السياسة مجال آخر... إن خلط الدين بالسياسة يؤدي إلى استغلال الدين كأداة سلطة..."

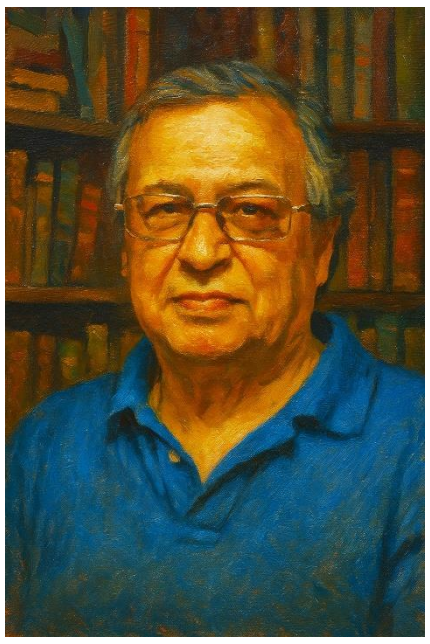

ويشدد الدكتور السيد نجم على أهمية الحفاظ على التراث الديني والثقافي في سياق التحولات الحديثة:

"تعد النظرة إلى التراث على كل أشكاله، باعتباره جزءا من ذاكرة الأفراد والأمم، ومن أسس واقعها المعاش، مع النظر نحو كل المستجدات..."

وتشرح الدكتورة رجاء موليو دور الأدوات الفكرية في هذه المراجعة:

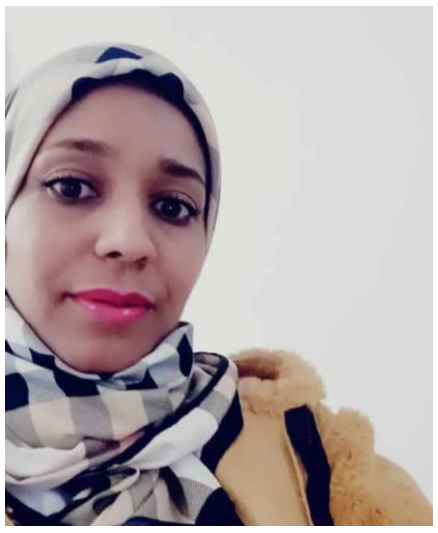

"النقد الثقافي يُعد مجهرًا لجميع النصوص التي تبني المجتمعات والحضارات. والنقد هنا يأتي من فكر واعٍ يميز بين الجيد والرديء، ويحافظ على المعاني الهادفة ويرمي بتلك التي هدفها التشويش..."

الخاتمة

إن غياب التدبر ليس عرضًا هامشيًا، بل علامة على أزمة روحية وفكرية عميقة. وما طُرح هنا يؤكد أن الحل يكمن في استعادة التوازن المفقود بين السند الشرعي والسند الروحي، وتفعيل التدبر بوصفه شرطًا وجوديًا وحرية داخلية تحول النص من مادة للنقد اللاديني والجمود الطقسي (كما أشار ميرغني أبشر) إلى طاقة حية للعدل والمحبة. إن ما طُرح هنا ليس نهاية الحوار بل بدايته، إذ يبقى المجال مفتوحًا أمام مزيد من الأقلام والأفكار كي تواصل الحفر في أعماق هذه الإشكالية، بحثًا عن يقظة جديدة تُعيد للإنسان قدرته على التدبر، وللدين جوهره الحيّ.

طوفان الأقصى

الملح

بودكاست هكذا أفهمه..

و ماذا بعد ضرب اليمن لإسرائيل؛ نهاية إسرائيل

المقامة الغزيّة

قبرٌ.. وخوذة جندي

غزة، مرآة وزلزال

الإنسانية

اللوحة للفنان الأردني . عمر بدور

الملح ..

ريم البياتي
شاعرة . كاتبة . سوريا

رمونيَ...

أني جعلت الملوحة تاجاً لشعري،

وأني نثرت على ناصيات القوافي

قمحاً وتمراً،

وأعطيت أمري

لتلك القناديل

لا تستريحي...

فما عاد ينبت عشب

على العاديات

أذاك لأن الملوحة ماتت

وصار العذيب كفيفاً

أضاعت عصاه أنين السواقي

وأنكر ملح الضفاف،

فشاخت خطاه

وفرّت من النهر أسراره

إلى تائهاتٍ على الشوك تجري؟

ألا يعلمون؟

كرام القوافي تغرّز فيها الملوحة فيضاً

تعود بناموس خبز وملح إلى مطعميها

وبيض القلوب لها شرع ملحٍ

تؤوب إليه؛

فللدمع طعم الملوحةْ،

وللدم طعم الملوحةْ،

وللقهر طعم المرارِ،

وللجوع طعمٌ هجينْ

ينازع بين المرار وبين الحموضة

لا يستكينْ!

ألا يعلمون...

من البدء كنا نملّح عند الولادة كلّ الصغار،

فتبقى الجلود لباساً

يقي حرّ صيف غريب،

وقرّ الدروب إذا ضيّعتنا

نعود كما النحل صوب القفير،

ونشرب دمع السنابل يوم (الغرينِ)

ولا نستجيرْ!

فقولوا:

قصائدنا مالحة.

أفي العطر ذاتٌ

سوى الرائحة؟

بودكاست هكذا أفهمه..

أحمد حسن الزعبي
كاتب مسرحي. الأردن

عندما ظهر "#البودكاست" كمولود في #الثورة_الرقمية، كان التصوّر أن يكون برنامجًا إذاعيًا صوتيًا يُبث عبر #الوسائط_الرقمية. سرعان ما تحوّل إلى لقاء مصوّر يشبه #المقابلة_التلفزيونية العادية التقليدية التي كانت تبثّه #التلفزيونات الرسمية. هنا فقد "البودكاست" تعريفه الذي وُجد لأجل أن يكون صوتيًا.

بعد ذلك شاع عربيًا ومحليًا على طريقة محلات الخلويات ومقاهي الإنترنت في العصر البائد، وصار "بين كل بودكاست وبودكاست بطلع لك بودكاست". فبدأ يتنازل عن كل مهماته وميزاته؛ فقد عرّبنا وعرّفنا البودكاست على طريقتنا، وتحوّل إلى "ديوانية" وحملة علاقات عامة، وظل وما زال وربما سيبقى وكأنه "#نوستالجيا" أكثر منه "بودكاست". ليصبح منبرًا للحنين والغزل وتسبيل العيون و"القشعيرية"... بدلاً من أن يكون لقاءً يحمل #المكاشفة و#المحاسبة أو إبراز القضايا والملفات وطرح الحلول والاستماع للرأي في أعقد الملفات والمتغيرات على الصعيد المحلي والعربي والعالمي – ليس شرطًا بالسياسة – بمختلف المجالات. فقد صار جلسة "للعناية بالبشرة" والمجاملة والمديح والنزول بمستوى الحوار.

المحاور الذي يحب أن ينبري لهذه المهمّة يجب أن يكون محاورًا حقيقيًا، متمرّسًا، عميقًا بالأسئلة، دارسًا لشخصية الضيف، يعرف متى يتدخل ومتى يصطاد تصريحًا منفردًا، متى يكون قاسيًا في طرح

الأسئلة، ومتى يكون هادئًا. وأن يطرح كل #الاستفسارات التي تدور في ذهن المتلقي و#الجمهور. فاللقاء سواء كان سياسيًا أو رياضيًا أو فنيًا يجب أن يشبه "المحاكمة الناعمة" أمام الجمهور، لا جلسة "بدي كير" و"#مساج".

للأمانة، بعض برامج "البودكاست" حقق بعضًا مما ذكرت سابقًا من متطلبات، والبعض الآخر ما زال على مبدأ:

"بودكاساتنا وبودكاساتكم يرعن سوا"

#غطيني_يا_كرمة_العلي

و ماذا بعد ضرب اليمن لإسرائيل؟
نهاية إسرائيل

د. شاكر صبري
شاعر. كاتب. قاص. مصر

اليهود هم اليهود، وكما ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا" .

احتلَّ اليهود القدس عام 1948م بحيل وتخطيط يعلمها القاصي والداني، وعندما ثارت الأمة العربية واتجهوا لاستعادة الأرض المحتلة، وقعت الجيوش العربية وأولها مصر فريسة الأسلحة الفاسدة التي تمت بتخطيط يهودي، وراح الكثير من الضحايا، واستطاعت إسرائيل أن تسيطر على فلسطين لتصبح دولة إسرائيل بدلًا من فلسطين، وتسيطر على بيت المقدس وعلى المسجد الأقصى، المشعر الوحيد الذي تشترك فيه الديانات الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية). فكان هذا المسجد هو "مسمار جحا" الذي اتخذه اليهود ذريعة للبقاء في فلسطين بحجة أن به مقدساتهم ورفات أنبيائهم.

يعلم اليهود أنهم منبوذون، فالكره والعدوان والاغتصاب لن يولد أبدًا حبًا وسلامًا، كما أنهم اعتدوا على حرمة مسجد المسلمين المقدس.

استطاع اليهود بحكم مكرهم وطبيعتهم، وتعاملهم مع الدول الأجنبية التي تعادي الإسلام والعرب، أن يتوغلوا وينتشروا ويزرعوا الكره والعدوان أكثر على الإسلام والمسلمين والعرب، وأن يستخدموا الدعاية الإعلامية التي سيطروا على أكثر وكالاتها في إقناع العالم بأنهم أصحاب حق وأن العرب أعداؤهم، واستعلوا كل الوسائل والحيل لذلك. واستطاعوا بحكم طبيعتهم من السيطرة على الاقتصاد العالمي، ووجهوا طاقتهم للنفوذ السياسي في الدول التي وجدوا فيها قوة، وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية، فساندوا ودعموا كل رئيس دولة، ودعموا البرلمان بحيث يضمنوا عددًا من أعضائه من اليهود فيه ليدعموا قضاياهم واتجاهاتهم، إلى جانب أساليبهم القذرة في السيطرة على القيادات الغربية عن طريق الدعارة والابتزاز للوصول إلى مخططاتهم.

فأصبحت إسرائيل هي الابن غير الشرعي لأمريكا والفَتى المدلَّل لها، وأمريكا هي القوة العظمى في العصر الحديث لقوتها الاقتصادية والعسكرية الهائلة، إلى جانب توغلهم في دول أخرى عن طريق امتلاكهم لقوى اقتصادية كبرى تخدم اتجاهاتهم.

إسرائيل تسعى لتحقيق مطامعها الخبيثة للتوغل في الوطن العربي من النيل إلى الفرات، وهو ما أثبته الواقع حيث خططت وتمكنت من احتلال شبه جزيرة سيناء المصرية والضفة الغربية وهضبة الجولان عام النكسة 1967م. وبإرادة وعزيمة جيش مصر الباسل استطاع أن يلقن اليهود درسًا لن ينسوه للأبد، ظل قابعًا في خيالهم، وتم استرداد أرضنا المحتلة في أكتوبر عام 1973م.

واليهود يحاولون ما بقوا على قيد الحياة إيذاء العرب، من ناحية لحقدهم على العروبة والإسلام، ومن ناحية أخرى لتحقيق مطامعهم الخبيثة ما وجدوا لذلك سبيلًا.

واليهود لا يتحركون إلا بتخطيط مسبق.

وفي أيامنا الحالية قام اليهود بقصف غزة قصفًا عنيفًا في أيام متوالية وما زالوا حتى يوم كتابتي لهذا المقال يقصفون. والعالم يشاهد هذه المأساة وهذه المجازر على صفحات الإنترنت وعلى القنوات الفضائية، ولا أحد يتحرك. ربما ثارت الشعوب وهاجت وماجت وامتلأت بعض الميادين بالغضب والثورة، ولكن دون جدوى، فالحكومات آمنة مطمئنة، لا تتحرك حركة إيجابية. لكن إسرائيل قد خسرت صورتها أمام العالم كله، لم تعد قادرة على خداع الشعوب. ربَّما كانت الحكومات مستجيبة إذعانًا للقوة العظمى، ولكن وجود شبكة الإنترنت فضح إسرائيل، ورأت الشعوب بعينها ما لم يمكن خداعه على مرأى ومسمع. لا توجد قنوات خداعة ولا مضللة، حتى ولو وُجدت فلن يصدقها أحد.

اليهود – كما وضحنا – لا يتحركون إلا إذا كانوا في مأمن من غضب بعض الحكومات، وإن كانت قد ضمت أمها الغول أمريكا بجوارها تدعمها وتكبت جموح أي دولةٍ عربية تحاول الوثوب إليها. الشعوب العربية تغلي وتثور ويتمنى الكثير من أبناء العرب أن ينالوا الشهادة من أجل فلسطين، أرضنا العربية وجارتنا الجنب ومشعر عظيم من مشاعر الإسلام. ولكن الحكومات متوقفة صامتة، ربما كان صمتها مريبًا ومخيفًا، ولكن لا جدوى من استفزازها للإطاحة بهذه الدولة الوضيعة في القدر والحجم وعدد السكان.

وربما كانت بعض الدول لا تمتلك القدرة والسيطرة على الخوض في حرب مع إسرائيل، ولكن على الأقل أن تدعمها عسكريًا، أو ببعض القوات الخاصة التي تستطيع الدفاع عنها وصد العدوان في بعض المواقع، أو إرسال صواريخ مضادة للطائرات، كل ذلك بأساليب سرية كما يتم في أي حرب أخرى.

ولكننا لم نر من زعمائنا العرب إلا الصمت الرهيب والمريب في نفس الوقت. هم يملكون القوة والمال والعتاد والشعب الثائر الغاضب الذي هو مستعد للفداء من أجل فلسطين المغتصبة، فلماذا الصمت؟

ولم تمتلك الشعوب إلا مقاطعة المنتجات الأمريكية التي تدعم إسرائيل، وكلها منتجات ضارة بالصحة لزيادة الإضافات الصناعية إليها. فكانت هذه المقاطعة بداية لضرب اقتصاد أمريكا وهدم قوتها التي تمد بها الشيطان الإسرائيلي، وكوسيلة للتنفيس عن ثورة الغضب الجامحة لدى الشعوب العربية أو غير العربية الرافضة للعدوان الإسرائيلي على غزة وما تشاهده من مجازر تتنافى مع كل معاني الإنسانية.

ربما كانت هذه الثورات والغضب العارم الذي اجتاح الشعوب العربية مؤشرًا قويًا لبداية النهاية لليهود، فيومًا بعد يوم سينفلت زمام الأمور من اليهود، ويفقدون السيطرة على حلفائهم، ويفقدون مصدر قوتهم. وساعتها سيدفعون الثمن غاليًا، وهو إبادتهم، ولن يبقى واحدًا منهم على ظهر الأرض.

ومنذ شهور وقعت إسرائيل في مأزق كبير حين اقتحمت الطائرات الإسرائيلية المجال الجوي الإيراني وضربت بعض المنشآت الحيوية في إيران. وعلى حد علمنا، فنقطة الضعف في إيران هي مجالها الجوي المكشوف، وتابعته باغتيال عدد من القادة الإيرانيين. وهذا كشف لإيران الكثير من النقاط، منها وجود جواسيس لإسرائيل داخل إيران، وهو ما بدأت تستفيق منه وإن كان الوقت متأخرًا. ولكنها أمطرت إسرائيل بوابل من الصواريخ الحديثة التي لم تستطع أحدث الرادارات الأمريكية أن تصدها لأنها صناعة إيرانية بحتة مطورة، لم تصل إليها أيدي الجواسيس ولا الخيانة.

كسرت إيران عظام إسرائيل وأفقدتها توازنها، وأثلجت صدور العرب وكل من عرف إسرائيل على حقيقتها من الغرب. كانت صور قتلاهم ومبانيهم المهدمة وصراخهم وهروبهم إلى الملاجئ حين سماع صفارات الإنذار هو أعظم ما يشرح قلوب الناظرين، ويمنحهم القوة والسعادة خاصة قبل النوم. وأخيرًا توقفت إيران بضغط من أمريكا، ولكن لن تعود إسرائيل أبدًا كما كانت، فقد فقدت الكثير من خبرائها ومبانيها وأفرادها، والعديد من رجال الموساد، بل وضُرب مبنى الموساد نفسه بما يحمله من ملفات ومعلومات يكاد من المستحيل إعادتها ثانية، ومن المستحيل إعادة هيكلة ما فُقد من مبانٍ ومنشآت علمية وعسكرية.

لأنها دولة تعيش على التخطيط والتدبير ووجود الإمكانيات للهجوم، وهي الآن مثل الأسد الكاسر (وحاشا لله أن نشبهها بالأسد ولكنها مثل الكلب ولكن من أجل التشبيه بالقوة) الذي جُرح ذراعه جرحًا عميقًا، إنه يعيش على الصيد، كيف يهجم على بقرة وحشية؟ ستستطيع إصابته وربما قتله، فقط سيلتقط ضعاف الحيوانات وصغيرها، وهذا ما لم يجده كثيرًا.

ومع ذلك فدولة اليمن الشجاعة لا تتراجع عن ضرب إسرائيل، تتوالى الصواريخ اليمنية الموجهة على إسرائيل، كل يوم تقدم هدية لأعداء إسرائيل بكسر لبنة من لبنات الحصن اليهودي، تفقدهم توازنهم، تكسر شوكتهم، تملأ قلوبهم رعبًا.

وعندئذ نقول إن إسرائيل في طريقها إلى الزوال، ولكنه زوال تدريجي لن يأتي مرة واحدة. هي قد خططت لاحتلال سوريا ووضعت رئيسًا يهوديًا مزيفًا ليسهل لها كل ما تريد من سوريا، ولكنه سينكشف أمره قريبًا، وستتحول سوريا إلى يمن أخرى، ولكن الأمر يحتاج إلى وقت حتى يستفيق الشعب السوري الذي أكل الطعم.

المقامة الغَزِّيَّة

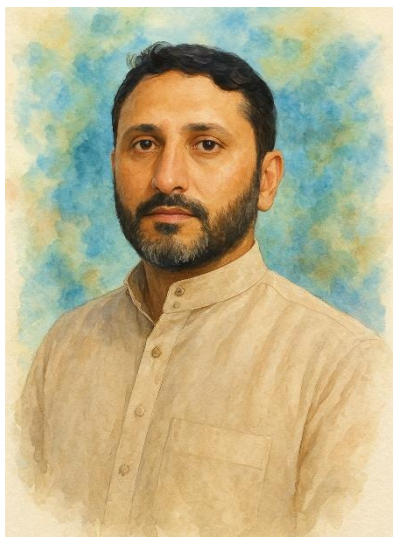

د. محمد إبراهيم عفيفي
أكاديمي . كاتب . باحث
يمني مقيم في السعودية

حدَّثنا الزمانُ عن جُرحٍ لا يلتئم، وعن صبرٍ لا ينهزم، وقال: يا ويحَ القلوبِ من غزّةَ وما بها من ألم!

هي قلعةُ المجدِ المحاصر، وسورةُ الصبرِ الظاهر؛ إذا اشتدَّ عليها القصفُ اشتدَّ عزمُها، وإذا ضاقَ عليها البحرُ اتسعَ صدرُها.

غزّةُ، يا أنشودةَ البطولة، ويا أيقونةَ الرجولة، يا سيفًا مشرعًا في وجهِ الطغيان، ويا منارةً للكرامةِ في زمنِ الهوان.

أرأيتم طفلًا فيها؟ إنَّهُ ليثٌ في مهدِه، يضحكُ للموتِ كما يضحكُ الوردُ للندى، ويهتفُ للحريةِ كما تهتفُ العصافيرُ للفجرِ إذا بدا.

أرأيتم نساءها؟ هنَّ أمّهاتُ الشهداءِ، كالنخلِ إذا اشتدَّت عليه الرياحُ ازدادَ ثباتًا، وكالقمرِ إذا حجبتهُ الغيومُ ازدادَ إشراقًا.

أرأيتم شيوخها؟ وجوهٌ مسفوحةٌ بالحكمةِ كالسِّفرِ القديم، وصدورٌ منقوشةٌ بالصبرِ كالأطوادِ العِظام.

غزّةُ، ليلُها طويلٌ كالمنفى، لكنَّ نجومَها تتوهجُ كالدماءِ الزكيّة.

غزّةُ، أرضٌ قد تُهدَمُ بيوتُها، لكن لا تُهدَمُ عزيمتُها، ويُقتَلُ شبابُها، لكن لا يُقتَلُ إيمانُها.

في كلِّ زقاقٍ فيها قصيدةٌ من دمٍ طهور، وفي كلِّ بيتٍ فيها مئذنةٌ تُنادِي: "هيهاتَ أن نموتَ قبل أن نحيا كرامًا".

إنها لهيبُ الرجولةِ في زمنٍ بارد، وصرخةُ الحقِّ في عالمٍ أصمّ، وعَلَمٌ مرفوعٌ في سماءٍ ملبدةٍ بالدخان.

فيا غزّةُ، يا دُرّةً في جبينِ العزَّة، ويا نداءً يجلجلُ في وادي الرجولة: إنكِ وإن أحاطت بكِ الجراحُ فأنتِ جرحُ الكرامة، وإن توالت عليكِ المصائبُ فأنتِ مدرسةُ البطولة، وسيبقى صوتُكِ عاليًا كالتكبيرِ في المآذن، لا يُخرسهُ القصفُ ولا يُطفئهُ الطغيان.

سبحانَ من جعلَ غزّةَ جرحًا لا ينام، وصبرًا لا يُرام؛ إن هُدمت بيوتها بقيت قلوبُها، وإن حُوصرت ظلت راياتُها، وستبقى ما بقي الدهرُ منارةً للكرامةِ وعنوانًا للصمود.

قبرٌ.. وخُودَةُ جندي

نجاة الزباير
شاعرة . صحفية . ناقدة . المغرب

1

مثل قصيدةٍ تائهةٍ في كفّ شاعر،
يجرُّ معطفَ عمرهِ
ويمضي بين دُخان البنادق،
يُضيء بأوجاعهِ سريرَ الأرض.
وتحت مظلّةِ الرصاص
يقتفي زفراتهِ،
حيث يصير الدمُ في غزّةَ لغةً،
والخوذةُ اللامعةُ قمرًا.

2

هذا الجنديُّ المنسيُّ
أضحى طيفًا ينزف،
مثلَ غيمٍ باهتٍ في صمت السماء.
وفي رُكنٍ بلا شرفات،
أمٌّ تتراقصُ في عينيها فصولُ الخراب،
تحلم بعودةِ نجمها من الغياب،
تُوشوشُ للغروب
بصوتٍ ينسجُ لحنَ الرحيل الأخير.

3

ويمضي الليل،
وتبقى الخوذةُ بين الظلال،
كأنّها تبتسم للحصار.
وصوتٌ خفيٌّ تحمله الرياح:
"نمْ يا صغيري،
لعلّ في الحلم رغيفَ الحياة،
فالليالي أغلقت أبوابَ النجاة".

غزّة، مرآة وزلزال

موسى إبراهيم
كاتب. شاعر. قاص. رحالة
ليبي مقيم في ألمانيا

غزّة ليست حدثًا استثنائيًا، وليست مجرد "جرح مفتوح" على الشاشات. إنّها المرآة التي تعكس حقيقتنا الاجتماعية، والبوصلة التي تشير إلى الطريق، والعاصفة التي تكشف ضعف العدو ومركز الهيمنة العالمي.

فهي أوّلًا تكشف عن واقعنا التاريخي: واقع التجزئة، وتفضح ضيق انتماءاتنا الكيانية (السورية والمصرية والجزائرية وغيرها)، وانشغالنا بفتات الريع بدل أصوله، وارتهاننا لأنظمة حكم عميلة ساوت نفسها بالأوطان.

وهي ثانيًا نقطة تحوّل في تاريخ فلسطين و المنطقة، إذ استطاعت بأبسط الإمكانيات أن تفضح العدو، وتكشف دوره الإمبريالي حتى في قلب الغرب حيث مركز الهيمنة الذي يحميه، وتعلن أنّ الوحدة والتحرير هما الطريق الوحيد.

وهي ثالثًا مرآة لضعف المنظومة الإسلامية العقيدية والفكرية، حيث الفكر الإسلامي الراهن عقيم، وفقهُه مدرسي متكرر بعيد عن الواقع، بينما قلوب وعقول الملايين من المسلمين تُقاد بتركيبتها الاجتماعية المتشظية أكثر مما تُلهمها منظومة فكرية متينة.

وهي رابعًا إعلان عن السياق العالمي الجديد: مركز الهيمنة يتهاوى، نصيبه من الإنتاج الصناعي يتراجع، تحكمه في الاقتصاد يتصدّع، خلافاته بين أميركا وأوروبا تتعمّق، وقدرته على الحسم العسكري تتلاشى أمام صعود الصين والهند والبرازيل وغيرها. وفي المقابل، ينمو الجنوب العالمي ويصعد الشرق الآسيوي ليشكّلا ميزان قوى جديدًا أكثر عدلًا.

ثم تأتي الحقيقة الأوضح: أنّ المقاوم الغزّاوي، الضعيف في تسليحه، الفقير في إمكانياته، استطاع أن يهزّ كيانًا بكامله وأن يفرض نفسه كلاعب على طاولة السياسة العالمية. فإذا كان هذا حال غزّة وحدها، فكيف سيكون الحال لو أنّ الاجتماع العربي ـ أي تركيبتنا الاجتماعية بكل ما تختزنه من طاقات ـ دفع نحو دعم هذا المقاوم، ونشر فكرة المقاومة على امتداد الوطن العربي؟ عندها سيكون الزلزال شاملًا، مدمّرًا لمنظومة الهيمنة كلها.

غزّة إذن جرح، ومنعطف، ومرآة، وبشارة أيضًا. وهي الدليل أنّ اجتماعنا العربي، رغم ضعفه الحالي، لا مخرج له إلا بالوحدة والتحرير.

الإنسانية ..

أحمد بشير العيلة
شاعر. كاتب. فلسطين

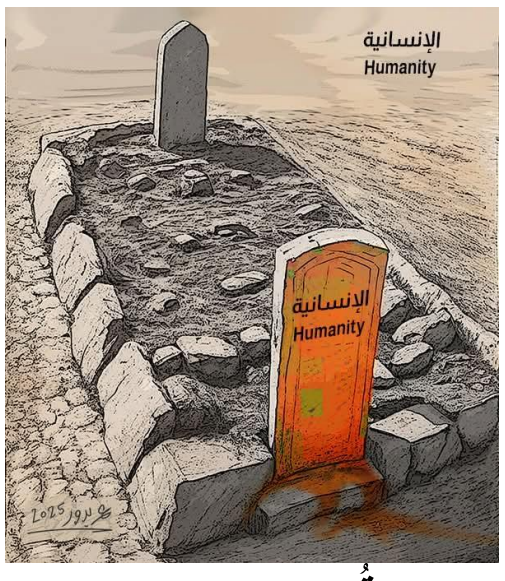

الإنسانيةُ:

أن تحمل روحك مشكاةً لتضيءَ قلوبَ الناس

أن تطردَ كل الظلمات من الأفكار

أن تُمسِك بشعاع الضوء كرمحٍ يطعن صدر الظلم.

الإنسانيةُ:

أن تطلق ضوءَ مشاعرك لتكشف عن صور المأساة

أن تشعر بالعطش إذا عطشوا

والجوعِ إذا جاعوا

والألمِ إذا بُترت أقدام العائد لبلاده

أن تشعرَ بالفزع التاريخي إذا انفجرت أحياءٌ كاملةٌ من أملٍ لا يأتي.

الإنسانيةُ:

أن تحمل علمَ فلسطين على أعلى سارية في الكون

أن تهتف باسم فلسطين كثيراً في كل صلاة

أن تعرف أنَّ فلسطين ضمير العالم

عنوانٌ كونيٌّ لجماليات البشر الماضين إلى ذروتهم

ترمومتر نقاء الأمم الأبدي

بل ترمومتر الحريةِ في كل زمانٍ ومكان.

الإنسانيةُ:

أن تحمل في الفجر عصا موسى

وتشق البحر لتعبر بسمائك نحو فلسطين

ادفعْ أشرعةَ أساطيل الحرية بغنائك وبهائك ورجائك.

الإنسانيةُ:

أن تتحرر من غبشٍ أسودَ في عقلك

تُعلن: تحريرَ فلسطين سموّاً للبشرية جمعاء.

الإنسانيةُ:

أن تهدم أصنام الصهيونية في أروقة الأمم المتحدة

أن تحرق نظريات المحتلين بساحاتٍ تصعد بهتافِ فلسطين

أن تحتضن المظلومين بقلبك

أن تغسل روحك بدموع الأطفال الجوعى

أن تُشرق في كل صباحٍ خبزاً لامرأة جائعةٍ من غير ذراع

أن تنثر من أعلى سقفٍ في العالم قمح دعائك في أيدي غزةَ

أن تحفر فوق صخور بلادك اسم فلسطين لترجمة مواجعنا المتحدة

ولتكتب أسماء الشهداء

في كل قواميس العالم.

الإنسانيةُ:

أن تتغنى باسم فلسطينَ

وترقص باسم فلسطين

وتكتب باسم فلسطين

وتنقِّي الأرض من الظلمات

باسم فلسطين

طوفان الأقصى

صمود غزة

نحن أحرار

we are free

/omarbdoor /obdoor @omarbdoor

عمر بدور
قاص و فنان تشكيلي . الأردن

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

أنداري!!!
2025 عمر
/omarbdoor
/obdoor
@omarbdoor

GAZA
f/omarbdoor /obdoor @omarbdoor

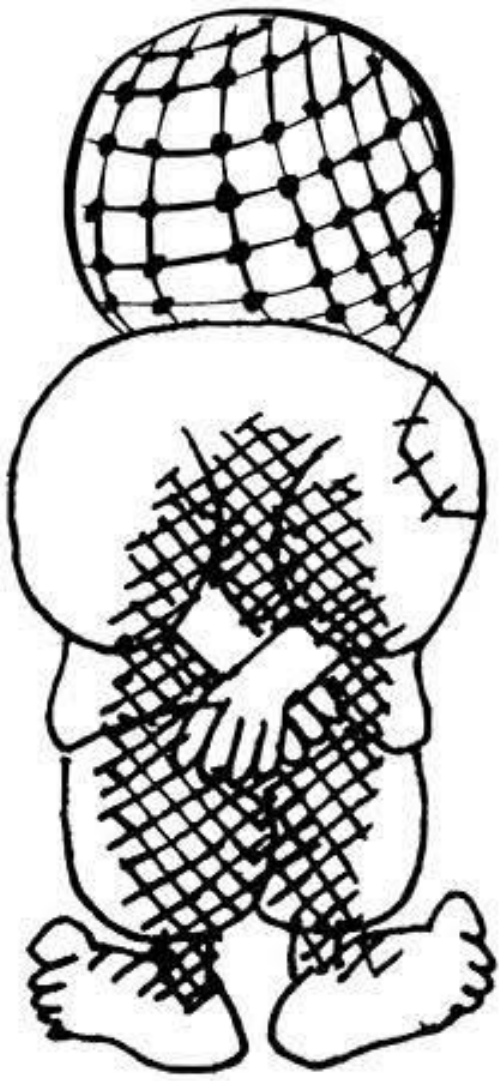

/omarbdoor /obdoor @omarbdoor 2025

د. علاء اللقطة
طبيب و فنان تشكيلي . فلسطين

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

■ Lunar eclipse

لبنان
سوريا
الضفة
غزة
www.arabi21.com
Arabi21News

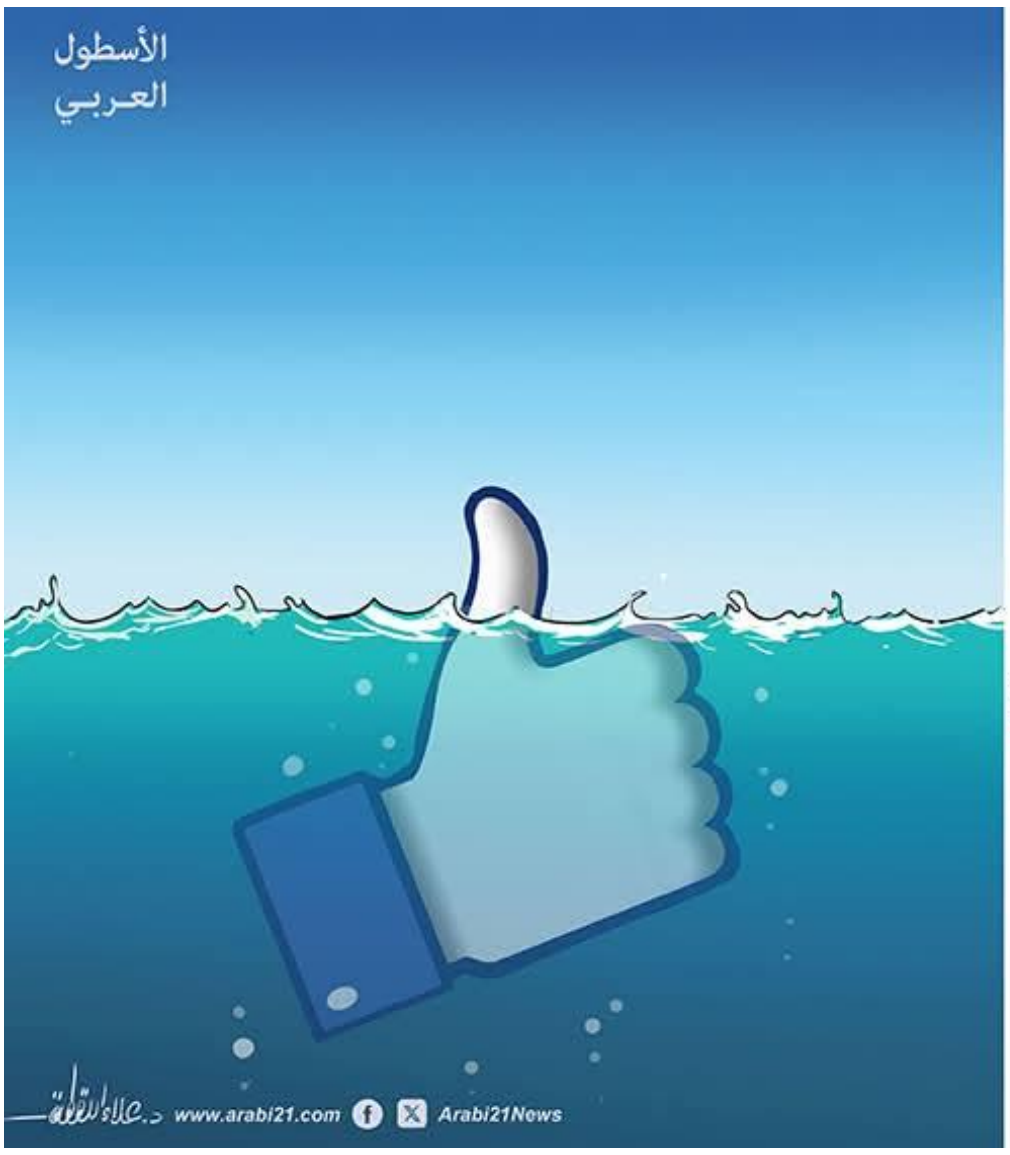
الأسطول
العربي
www.arabi21.com
Arabi21News
د.علاء اللقطة

الأسطول
الأجنبي
FREE
GAZA

نزوح ..
www.arabi21.com
Arabi21News
د. علاء اللقطة

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

عمر السطر
فنان تشكيلي . المغرب

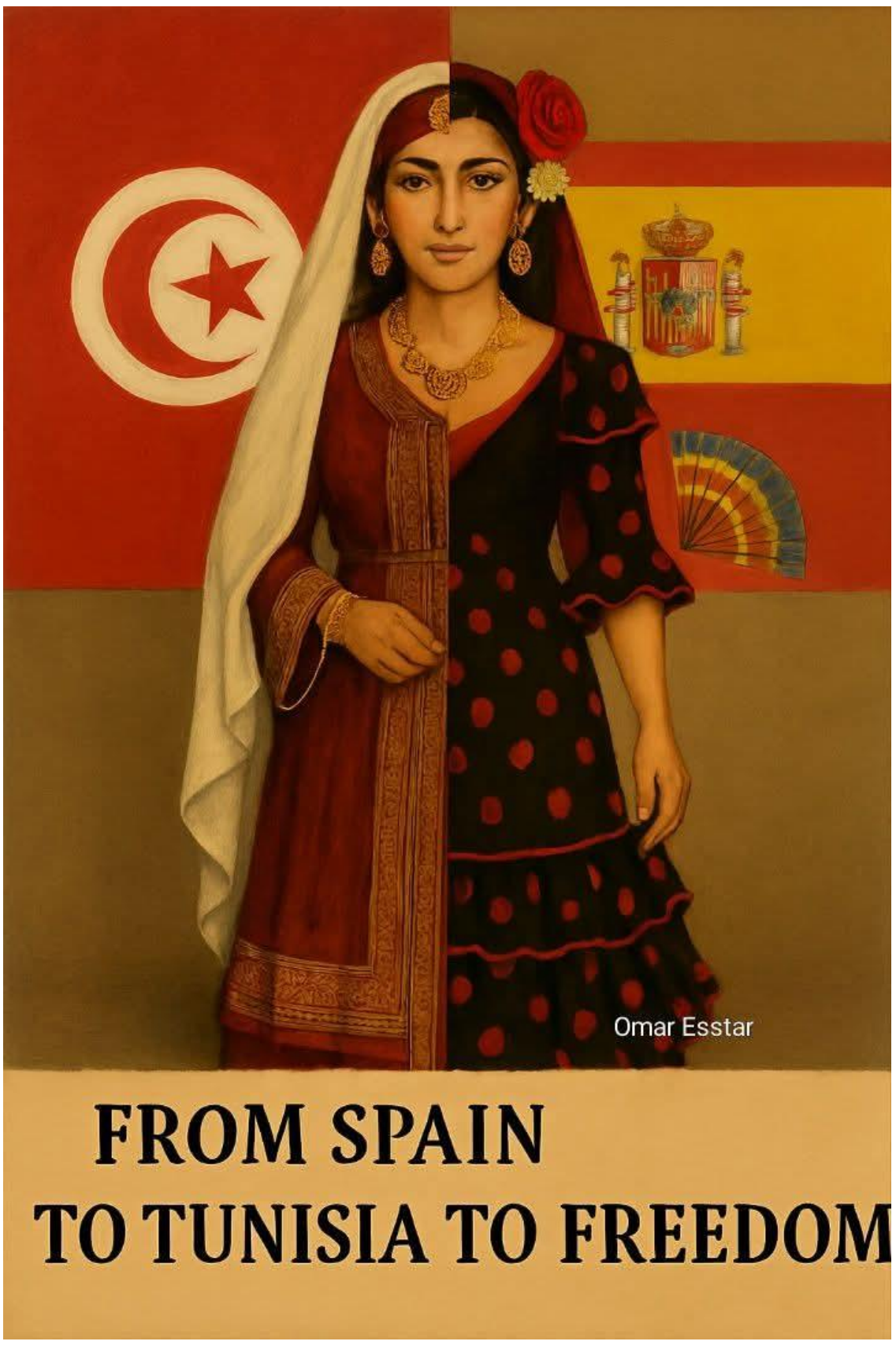

omar Esstar

VÈTO
omar Esstar

omar esstar

من كومبارس إلى حلبة مصارعة لمشهد دولي، فهل لنا بمن يعي ويستعد؟

حاطب ليل

بعد تصريحات التآمر وتطبيق نظرية المؤامرة التي يتشدقون بها، يمضي كرد فعل لاجتماع العشرين، فيتخذ قبطان سفينة "العمّ سام" قرارات غريبة ومباغتة وأحيانًا مريبة، تاركًا قادة دول العالم وساسته، الحلفاء منهم والخصوم، في حيرة من أمرهم، وضاربًا عرض الحائط بالسياسات النمطية والتقليدية التي حاكها أسلافه على مرّ عقود.

فقد فجّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب أخيرًا "قنبلة رمزية" تمثلت في إصداره أمرًا تنفيذيًا قضى بإعادة تسمية "وزارة الدفاع" بـ"وزارة الحرب". وتعقب خطوته هذه سلسلة قرارات من هذا القبيل الضخم، اتخذها فور دخوله المكتب البيضاوي للمرة الثانية، من بينها تغيير اسم "خليج المكسيك" إلى "خليج ماما أميركا"، فضلًا عن إعادة تسمية قواعد عسكرية سبق أن بدل أسماءها "سلفه اللدود" جو بايدن.

لا ريب في أن قائد "العالم الحر" ـ كما يصور ـ ذا شخصية مثيرة للجدل والاهتمام في آن يعتريه رغبة جامحة في ترك إرث مدو بعد خروجه من البيت البيضوي، يكون علامة فارقة تتناقلها الأجيال الأميركية المقبلة لعقود. فـ"الممثل السابق" يتقن بلا شك لفت أنظار وسائل الإعلام العالمية، كما يجيد الشغف بالفنون القتالية بتوجيه "لكمات سياسية" يعتقد أنها قاضية إلى أعداء بلاده وموجعة إلى خصومه الداخليين وبعض الحلفاء في حجر "ماما أميركا" أيضًا. وقد بدأت النوايا القذرة بقصف الدوحة المتآمر من أطراف عدة، وستكشف الأيام القريبة القادمة من هم. فكأن المرحلة القادمة تكسير عظام. فهل لنا بمن يعي ويستعد؟ من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..

ويصحو من غيه إن كان غافلًا أو متآمرًا؟

كفى أحبتي يقظة.

مرايـــا

منطقة الصفر، الحفر الثقافي بين الحضور والغياب

الوداع .. رجل المستحيل

كيف نفكر عربيا .. ؟!

حرية الصحافة، بين مطرقة السياسة وسندان الاقتصاد

ثقافة عقول وعربة فول

منطقة الصفر

الحفر الثقافي: بين الحضور والغياب

خالد الحديدي:
كاتب.ناقد . باحث .مصر

عندما نسمع كلمة "صفر"، يتبادر إلى أذهاننا فورًا ذلك الرمز الرياضي الذي يفصل بين السلب والإيجاب، نقطة تبدو بلا قيمة لكنها تحمل في جوفها سرّ النظام العددي كله. الصفر رياضيًا ليس رقمًا فحسب، بل هو ما منح الأعداد معناها، وما جعل الحساب ممكنًا. لكن في القراءة الأدبية والثقافية، يمكن أن يتحوّل الصفر إلى فكرة أعمق: مساحة من الصمت والغياب والفراغ، لكنها ليست خواءً، بل حاضنة للمعنى، أفق مفتوح للقراءة. من هنا أنطلق بمنهجي، الحفر الثقافي، الذي لا يكتفي بتفكيك النصوص من ظاهرها، بل يبحث فيما تراكم فيها من أصوات، وما غاب عنها من دلالات، ليكشف أن الصمت نفسه قد يكون النص الأكثر بلاغة.

إن الحفر الثقافي ليس مجرد أداة نقدية، بل رؤية للقراءة. إنه يتعامل مع النص بوصفه كيانًا متحوّلًا لا يكتمل أبدًا، نصًّا يسكنه الماضي بذاكرته، ويحتضنه الحاضر بأزماته، ويمتد إلى المستقبل بإمكاناته. حين نحفر في النصوص، نكتشف أن الكلمات ليست وحدها التي تكتب التاريخ، بل أيضًا الصمت والبياض والغياب. هنا يطلّ الصفر كعلامة مركزية، لا باعتباره فراغًا، بل كمنطقة غنية بالمعنى.

في مالك الحزين لإبراهيم أصلان، يطل الشيخ حسني جالسًا على المقهى. لا يقول شيئًا، يرفع يده فقط إشارة للنادل. قد يبدو المشهد بسيطًا، لكنه محمّل بكثافة من الصمت. هنا الصفر هو لغة الشيخ، إشاراته تحل محل الكلام، وصمته يصبح تعبيرًا عن عالم كامل من العجز والتهميش. ومن خلال الحفر الثقافي نفهم أن أصلان لا يكتب شخصية فردية فحسب، بل يكتب تاريخًا اجتماعيًا ممتدًا، حيث يتكثف في الإيماءة صدى قرون من الفقر والخذلان.

أما نجيب محفوظ، ففي ثرثرة فوق النيل يرسم لنا صمتًا من نوع آخر. شخصياته تجلس في عوامة النيل، تدخن بكثافة، لكن الكلمات تغيب، والحديث يتلاشى. هنا الصفر لا يحمل معنى الإشارة أو الاحتجاج الصامت كما عند أصلان، بل يتحوّل إلى فراغ شامل. إنه صمت جيل مأزوم، فقد المعنى، وتخلى عن الحلم الكبير، وغرق في الفراغ. الحفر الثقافي يكشف لنا أن هذا الصمت علامة على أزمة هوية حضارية، جيل عاش لحظة الانكسار فاختار اللامبالاة ملجأً من مواجهة الواقع.

وعندما نعود إلى أبي العلاء المعري، فإننا نجد الصفر وقد ارتقى إلى مستوى الفلسفة. في بيته الشهير:

"فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي

سحائبُ ليس تنتظم البلادا"

يبدو المعري وكأنه يرفض حتى نعمة المطر، كأنه ينسحب من دورة الحياة كلها. هذا ليس زهدًا عابرًا، بل موقف وجودي كامل: رفض، عزلة، لاجدوى. في رسالة الغفران أيضًا، ما يهيمن ليس الوصف المباشر للجنة والنار، بل ارتياب دائم، شك يحيط بكل معنى، كأن النص نفسه مكتوب من داخل منطقة الصفر: حيث الغياب أقوى من الحضور، وحيث الشك يغمر كل يقين. هنا يتحوّل الصمت إلى فلسفة، إلى موقف من العالم يقوم على الاعتراف بأن الكلام مهما طال يظل عاجزًا عن الإمساك بالحقيقة.

لكن منطقة الصفر لا تنحصر في العصر الحديث أو في التصوف المشرقي، بل نجدها أيضًا متجسدة في تجربة أندلسية فريدة: تجربة أبي الحسن الششتري. ففي مقطوعته الشهيرة يقول:

سُقيتُ كأس الهَوَى قديماً

من غير أرضي ولا سمائي

أصبحتُ به فريدَ عصري

بين الورى حاملاً لوائي

هذه الأبيات تكشف عن تجربة غيبية كاملة. الكأس الذي شُرب قديمًا ليس نتاجًا للأرض أو للسماء، بل هو حضور ينبثق من الغياب، من منطقة ثالثة لا تحدها الجغرافيا. هنا يطل الصفر مجددًا: الفراغ الذي يولّد المعنى. فالششتري يتحدث من مكان لا أرضي ولا سماوي، بل من فضاء صوفي مفتوح، حيث تتحوّل التجربة الفردية إلى لغة كونية.

ويضيف:

لي مذهبٌ مذهبٌ عجيب

في الحب قد فاق يا هنائي

إنه يعلن عن مذهب جديد، لكنه ليس جديدًا في الظاهر، بل في عمق التجربة: أن تعيش الحب بوصفه فراغًا يفيض، غيابًا يتكلم. بالحفر الثقافي ندرك أن هذا المذهب العجيب ليس فقط اجتهادًا شخصيًا، بل هو انعكاس لتحولات الأندلس في زمنه، حيث فقدت الأرض استقرارها، فبحث الشعراء والمتصوفة عن سماء أخرى في القلب والوجدان.

وعندما يقول:

حاشاكموا يا أهيل نجدٍ

أن تقطعوا منكم رجائي

نرى كيف يحوّل الششتري الغياب إلى أمل. "نجد" هنا ليست مكانًا فحسب، بل رمزًا للتراث الروحي الممتد من الشرق، والرجاء المعلّق على هذا الامتداد هو محاولة لتجاوز سقوط الأندلس السياسي بالاتصال بمركز آخر: مركز غيبي، رمزي، مفتوح على اللازمن.

وهكذا، يصبح حضور الششتري حلقة وصل، يربط بين غياب الأندلس التاريخي وصوتها الروحي، ويكشف أن الصفر لم يكن مجرد دائرة رياضية، بل فضاء تعبيري مفتوح: من التصوف الأندلسي إلى الرواية المصرية المعاصرة، ومن عزلة المعري الفلسفية إلى إشارة الشيخ حسني الصامتة.

الحفر الثقافي في هذا السياق يكشف لنا أن النصوص الكبرى لا تستمد عظمتها من وضوحها فقط، بل من قدرتها على أن تترك فراغات، أن تمنح القارئ مساحات يملؤها بخبرته وثقافته وتاريخه. الصفر، بهذا المعنى، ليس دائرة فارغة، بل فضاء للمعنى المتجدد. أصلان ترك صمتًا مفتوحًا على احتجاج الهامش، محفوظ ترك صمتًا يختزن أزمة جيل، المعري ترك صمتًا يحاور الفلسفة والوجود، والششتري ترك صمتًا يغني بالحب الصوفي

في النهاية، منطقة الصفر ليست فراغًا، بل هي قلب النصوص. إنها المساحة التي تتجمع فيها كل الأصوات الخافتة، كل الطبقات العميقة، كل الصمت الذي يبوح أكثر مما تتكلم الكلمات. وهي في الوقت نفسه دعوة للقارئ أن يتجاوز القراءة السطحية، وأن يمارس الحفر الثقافي بوصفه رحلة لاكتشاف أن الغياب أحيانًا أكثر امتلاءً من الحضور، وأن الصمت لغة لا تقل بلاغة عن القول.

الوداع .. رجل المستحيل

فاطمة النهام
كاتبة . قاصة . البحرين

منذ أن كنت صغيرة، بالتحديد في الصف الأول الإعدادي، كنت أشرب وأقتات وأستمتع بكتابات هذا المبدع العبقري، المبتكر، السيد الفاضل والأديب المحترم الدكتور نبيل فاروق.

قرأنا له صنوفًا وألوانًا من الأدب: أدب الخيال العلمي، والأدب البوليسي، والاجتماعي، والرومانسي.. لم يترك مجالًا أدبيًا إلا وكتب فيه. كان الدكتور نبيل فاروق رجل المستحيل وأسطورة الشباب.

عاشت كتاباته معنا طيلة ثلاثين عامًا، فهل هذه مدة بسيطة حتى نستطيع نسيانه؟! أو حتى كتابة كلمات قليلة في حقه؟!

الموت حق علينا جميعًا، لكنني لا أنكر أبدًا مدى حزني حينما سمعت خبر وفاته. كنت أتصفح "فيسبوك" باستمرار وأقرأ كلمات قرائه الحزينة المتألمة وذكرياتهم مع كتاباته، وكأنها تعبر تمامًا عما مررت به من مشاعر طوال مسيرة تعرفي على هذا الكاتب المبدع.

لقد استقطبت كتابات الدكتور نبيل فاروق – رحمه الله – ملايين القراء في الوطن العربي من أقصاه إلى أدناه. عُرف بأدبه المحترم والأخلاقي والقيمي. تتلمذنا على يديه منذ أن كنا

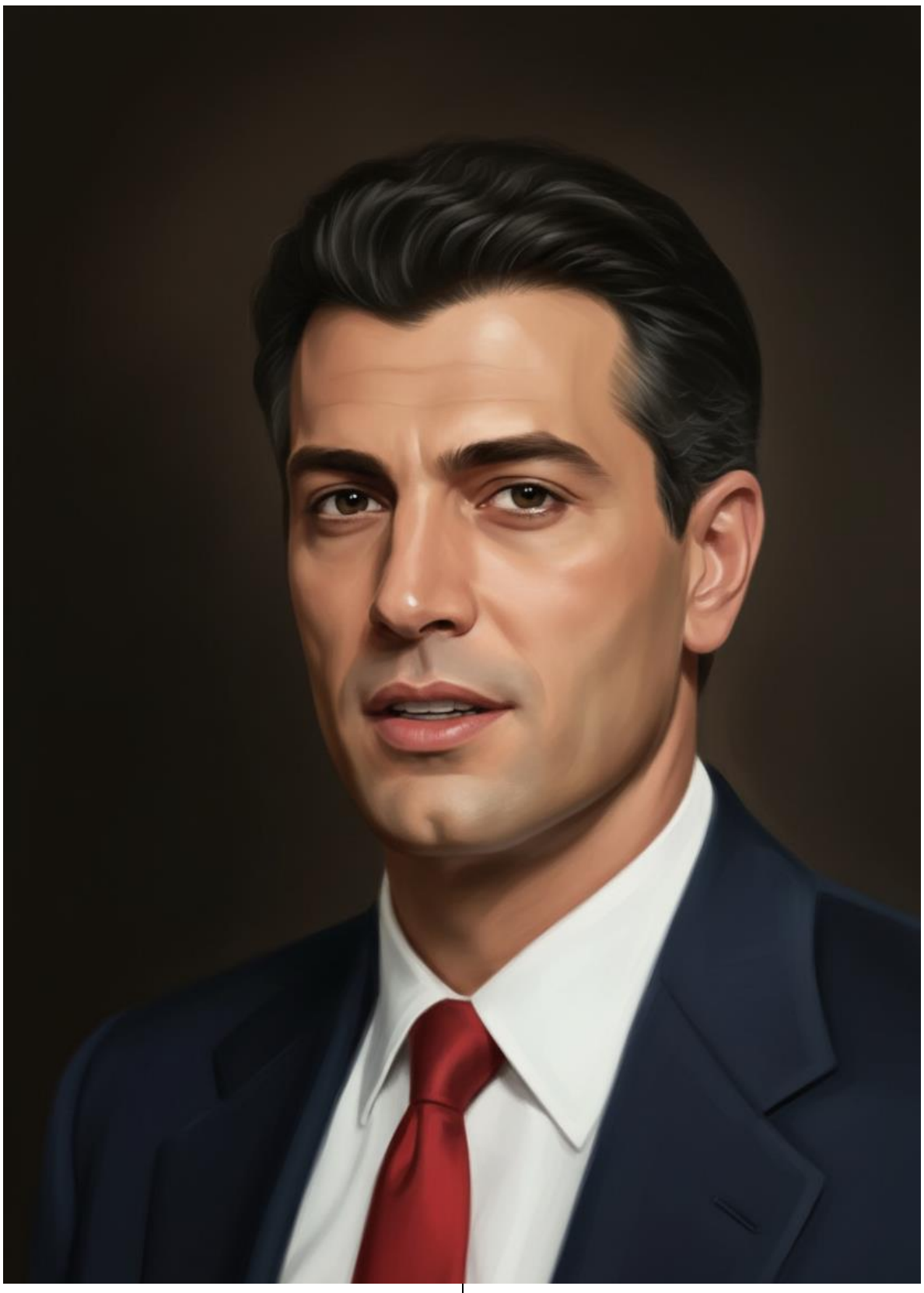

أطفالًا، وتعلمنا منه معاني الشرف والاحترام والوفاء والإخلاص وحب الوطن. ولولاه ما عشقنا القراءة والكتابة.

كانت لي محاولات كتابية منذ صغري نشرتها في الصحف المحلية، ولا أزال أحتفظ بها وأعتز بها لأنها البداية والشرارة الأولى. وفي الوقت الراهن أصدرت مجموعتين قصصيتين، وكم كنت أتمنى أن يقرأ الدكتور نبيل فاروق إصداراتي، وأن أنال شرف الاستماع إلى رأيه.

تعلمنا منه معاني الولاء وحب الوطن، والشهامة والاعتزاز بالقومية العربية. تعلمنا الثقافة، والأسلوب الممتع في الكتابة، ووصف الشخصيات، والسرد البديع، وتوظيف الأزمنة والأمكنة. سافرنا معه إلى كل بقاع العالم وكأننا نراها بأعيننا.

وعلى الرغم من انشغالنا بالامتحانات والواجبات الدراسية، إلا أن رواياته لم تكن تفارق حقائبنا المدرسية. لم نكن نمتلك أوقاتًا للفراغ، بل كنا نوظف معظم وقتنا في القراءة.

ماذا يعني أن نعرف أسماء الدول والمناطق وطباع الشخصيات وأسماء المخابرات والرتب العسكرية ونحن ما زلنا أطفالًا؟!

لقد سافرنا مع ضابط المخابرات المصري أدهم صبري، وكنا نستمتع بانتصاراته المتواصلة على أجهزة المخابرات العالمية. وحلقنا في الفضاء مع المقدم نور الدين محمود وفريقه (سلوى، رمزي، محمود) عبر الثقوب السوداء إلى أكوان وعوالم أخرى.

هل يُعقل أن كل تلك الشخصيات قد رحلت إلى الأبد؟!

نعم.. رحلت، ورحل معك كل شيء جميل. لن نستطيع الآن أن نعرف مصائر تلك الشخصيات التي أحببناها ورافقناها وقلقنا عليها وفرحنا بانتصاراتها.

لقد رحلت إلى عالم آخر، لكن الذكريات ستبقى هنا.. في عقولنا وقلوبنا.

ذكريات جميلة صاحبتنا في المراحل الإعدادية، ثم الثانوية، فالجامعية.. وصولًا إلى الوظيفة وتكوين العائلة والأبناء.

واليوم نحكي لأبنائنا عنك، وننقل إليهم أدبك وفكرك الراقي، ونشجعهم على قراءة أعمالك. نحدثهم عن سلسلة روايات مصرية للجيب، وعن الأستاذ حمدي مصطفى مدير نشر المؤسسة العربية الحديثة، وعن الفنان الرسام إسماعيل دياب – رحمه الله –، وعن رجل المستحيل وملف المستقبل وزهور وأرزاق وع × ٢ وفارس الأندلس وغيرها الكثير.

نحن نغرس في الجيل الجديد ما تعلمناه منك، ونوصي الأجيال القادمة بالاقتداء بك.

فلولاك لما امتلكنا هذا القدر من العلم والثقافة، ولولاك ما عشقنا القراءة والكتابة. لقد كنت ولا تزال مؤسسة تربوية عظيمة تعلمنا منها الكثير، وكنا – ولله الحمد – من أشد المحظوظين.

رحمك الله بواسع رحمته، أيها الأستاذ، والمعلم، والمربي، والملهم.

رحمك الله وأسكنك فسيح جناته.

كيف نفكر عربياً .. ؟!

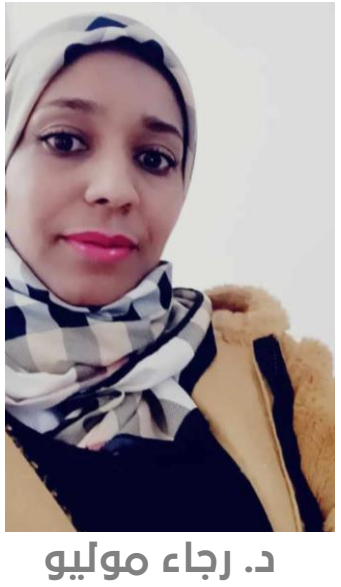

د. رجاء موليو
كاتبة . باحثة . شاعرة . المغرب

وهو مفهوم ذو حمولة ثقافية واعتقادية ونفسية بالدرجة الأولى، حيث إنه يستدعي التملص من المفاهيم والأسس الخارجية والدخيلة على العقل العربي، والتشبع بالهوية العربية الإسلامية؛ أي خلق فرص جديدة للفكر كي يحدد خصوصياته انطلاقاً مما يمتلكه هو فقط، لا مما سُطِّر له من القوى الاستعمارية التي حاولت تشويه الهوية والكينونة الإسلامية.

إن ثقافة العروبة والإسلام هي نوع من العلاقة المتداخلة بين الهوية العربية والدين الإسلامي، حيث يرى البعض أنهما وجهان لعملة واحدة، يساهمان في تشكيل الهوية الحضارية الإنسانية المشتركة. في حين يراها آخرون متعارضة، حيث تعني العروبة الانتساب إلى الأمة العربية بلغتها وثقافتها وتاريخها وأحداثها، بينما الإسلام هو الرسالة التي نُشرت في الأرض العربية ودافعت عنها وناصرتها.

هذا الطرح يُفهم منه أن الإسلام ساهم إلى حد كبير في توحيد العرب وخلق حضارة مشتركة بينهم، وأن اللغة العربية كانت الوسيلة الفعالة والواسطة لتبليغ الرسالة الإسلامية. فالعروبة هي الوعاء الذي احتضن الإسلام وساعد على انتشاره، تمنحه روحاً وتبعث فيه زخماً للحياة الثقافية والدينية للمسلمين.

كل هذا مرجعه أن العروبة والإسلام نسيج مشترك، وأن قوة أحدهما وانتصاره هو انتصار أكيد للآخر. ولم يكن الإسلام في أي وقت سبباً في عرقلة النظام السياسي بين الدول العربية بصفة خاصة، أو بينها وبين الدول الغربية بصفة عامة. غير أن بعض المتطاولين يرون أن الدين الإسلامي يقف عقبة وحاجزاً أمام التوحيد القومي والدولة العلمانية، وهو ما يُسمى بالتطرف الفكري، لأن الإسلام لم يتعارض مع مفهوم الوحدة الخالية من الشوائب والدسائس الأجنبية، بل يسعى إلى غرس القيم الإنسانية والأخلاقية النبيلة وتعميمها بما يخدم الصالح العام. فالثقافة العربية هي الوجهة الحقيقية للإسلام والدين الذي يخدم الاستقرار العالمي الشامل إن احترمت قدسيته ولم يُتجاوز.

حقوق الإنسان والمرأة في المقام الأول تعني أن مساواة المرأة جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأساسية، وليست منفصلة عنها. فمن الواجب على جميع الدول والمجتمعات ضمان تمتع المرأة بالحريات والواجبات، وحمايتها من كل ما قد يضر بها أو يسيء إليها بسبب التمييز. وهذا ما نادت به المنظمات العالمية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو).

فالمرأة إنسان أولاً، ولها كامل الحق في جميع الحقوق والحريات الأساسية، وبهذا تُعزَّز الكرامة الإنسانية وتتحقق العدالة الاجتماعية. والالتزام الدولي يقضي بتمتيع المرأة بكامل حقوقها، ومنها:

الحق في التعليم والصحة: بالحصول على أرقى درجات التعليم، والتمتع بالسلامة

الجسدية والعقلية والصحة الإنجابية (كأم).

الحق في الحياة والحرية والأمان: بتجنب العنف والتمييز بشتى أنواعه، والتمتع بالحياة الكريمة والحرية في التملك والتعبير.

الحق في المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية: وذلك بمزاولة العمل في جميع الميادين دون حيف، والتصويت، وممارسة الحق السياسي، وتكوين النقابات التي تدافع عن حقوقها.

الحق في عدم التمييز: بنبذ جميع أشكال الميز الجنسي، سواء في الميادين الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو المدنية.

إن تحقيق المساواة من شأنه أن يدفع بعجلة التقدم والازدهار للمجتمعات، ويُحدث انسجاماً بين الجنسين يجعل النتائج محفزة على الالتحاق بالركب العالمي المتميز. وهذا كله يرمي إلى تعزيز المسار الديموقراطي داخل المجتمعات، وتجنب أساليب التمييز أو تغذية الآراء التي تخلق الفوضى والتحزب لجانب دون آخر.

يقوم تفعيل العقل والحكمة في تهيئة مسار الدول والمجتمعات، سواء كانت عربية أو أجنبية، على تكريس الرزانة الفكرية وقبول الطرح المنتج الذي من شأنه بناء حضارات إيجابية. فالاستثمار الفكري، منذ القديم، هو الذي ينشأ عنه تغييرات مهمة على مستوى القناعات البشرية. فالمجتمعات تُبنى بفكرة إن حظيت بالقبول والامتثال، وتهدم إن قوبلت بالرفض والتعارض. وتبقى الضوابط الأخلاقية هي الحكم على جميع المجتمعات والحضارات، لأن الاحترام يجعل كل أمة لا تتجاوز الحدود المرسومة لها.

فعلى سبيل المثال، فإن هذا التطاحن الذي تعيشه الحضارات، والحروب والأزمات والصراعات، هو نتاج لعدم احترام الأخلاق المعمول بها. والإسلام في خطابه العالمي رسّخ هذا، وطبقه الرسول عليه السلام في شتى تعاملاته مع اليهود والنصارى، حيث جعل عهوداً وألزم المسلمين باتخاذها عند التعامل مع الآخر المختلف ديناً وعقيدة.

أما التطاول على المقدسات فقد نتج عنه حروب مميتة لن يستفيد منها لا الغالب ولا المغلوب، إلا شيئاً واحداً هو تعميم الرعب والفوضى في العالم، وتكريس التفرقة والانحياز والتبعية، وتشكيل الحلف الممنهج.

حرية الصحافة

بين مطرقة السياسة وسندان الاقتصاد

صابر هديش
إعلامي . كاتب . اليمن

أصدرت منظمة "مراسلون بلا حدود" تقريرها السنوي لمؤشر حرية الصحافة العالمي لعام 2025، وجاءت نتائجه صادمة، إذ وُصف الوضع العالمي لأول مرة بأنه "صعب". لم يعد الأمر مقتصرًا على الاعتداءات المباشرة على الصحفيين، بل امتد إلى تحديات اقتصادية خانقة تهدد بقاء المؤسسات الإعلامية نفسها. أكثر من ثلث دول العالم شهدت إغلاقات جماعية لوسائل الإعلام، في مشهد يعكس هشاشة الوضع المالي الذي يعيشه هذا القطاع.

البيانات تشير إلى أن 160 دولة من أصل 180 تجد صعوبة في تحقيق الاستقرار المالي لوسائل إعلامها، بل إن بعض الدول الكبرى كأمريكا والأرجنتين وتونس لم تسلم من هذه الأزمة. وكأن القلم بات يواجه امتحانًا مزدوجًا: كيف يحافظ على استقلاليته في ظل ضغوط سياسية، وكيف يستمر في الحياة أمام الأزمات الاقتصادية؟

عربيًا، لا تبدو الصورة أفضل حالًا. فالأراضي الفلسطينية جاءت في المرتبة 163، حيث شهدت غزة وضعًا كارثيًا؛ إذ دُمّرت غرف الأخبار بالكامل وقُتل ما يقارب 200 صحفي ومراسل تحت القصف الإسرائيلي، إلى جانب الحصار الخانق المستمر منذ أكثر من 18 شهرًا، وهو ما يجعل المهنة هناك من أخطر المهن على الإطلاق.

معظم الدول العربية تراوحت بين "الوضع الصعب" و"الخطير للغاية"، باستثناء حالات قليلة وُصفت بـ"الإشكالية" مثل موريتانيا وجزر القمر وقطر. أما اليمن فجاء في المرتبة 154، والعراق 155، والسودان 156، فيما احتلت سوريا المرتبة 177 في ذيل المؤشر.

اللافت أن تونس – التي كانت تُعد نموذجًا نسبيًا للانفتاح الإعلامي – تراجعت 11 مركزًا دفعة واحدة بسبب أزمتها السياسية وما تفرضه من تضييق على الإعلام المستقل. وهو مؤشر على أن التراجع لا يستثني أحدًا.

حرية الصحافة ليست ترفًا، بل شرطًا أساسيًا لأي نهضة حقيقية. إنها المرآة التي يرى المجتمع نفسه من خلالها، والنافذة التي يتنفس منها الرأي العام. وكلما ضاقت هذه النافذة، تضاءلت فرص الإصلاح وتراجع الأمل في غد أفضل.

ويبقى الأمل أن تتجاوز بلداننا العربية هذه الأوضاع الصعبة، وأن يُعاد الاعتبار للصحافة باعتبارها شريكًا أصيلًا في مسيرة التنمية والاستقرار.

مؤشر حرية الصحافة العالمي 2025

خريطة تظهر مستويات دول العالم بمؤشر حرية الصحافة العالمي لعام 2025

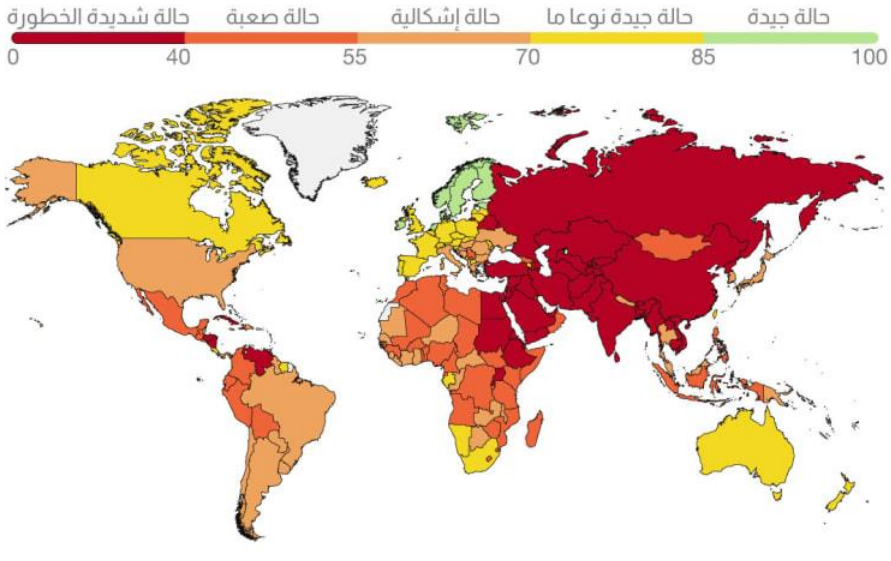

الترتيب العالمي للدول العربية بمؤشر حرية الصحافة 2025

تصنيف الدول حسب رمز اللون من الأكثر إلى الأقل في حرية الصحافة

ثقافة عقول وعربة فول

منى فتحي حامد
كاتبة. شاعرة. قاصة. مصر

عادات وطقوس لن تغيب عن مجتمعاتنا لحظة، نتذكرها كل حين بمشاعرنا وأحاسيسنا، وأوقات أخرى نتعايش معها لحظة بلحظة.

واقع ملموس له الأثر الحقيقي الذي يستخدمه الأديب في كتاباته أو الفنان في إبداعاته، أو أشخاص آخرون في تعاملهم مع الدنيا ولحظاتها الجميلة. تلك الأشياء البسيطة تعيد التوازن للحياة بالتعامل مع الآخرين، والتوافق مع الطبيعة، وتعديل سلوك الأفراد بالاختلاط بالمجتمعات الميدانية.

البعض ينظر إليها نظرة تعالٍ وسخرية، أو كنوع من الرفاهية، فيما يراها آخرون حياة هانئة صافية متوجة بالصحة والستر والكلمة الطيبة. إنها ثقافة تواضع وإنسانية، وشعور بمن حولنا، ووحدة وأخوة وصداقة وألفة بين الغني والفقير، الصغير والكبير، الرجل والمرأة، بعيدًا عن الأنانية المفرطة.

عربة الفول جزء من الفلكلور في أغلب البلدان، خاصة في الميادين والأحياء الشعبية التي ما زالت تتزين بروح الترابط والتماسك والإخاء والمحبة والمودة. فهي من عاداتنا الشرقية الأصيلة التي تحثنا دائمًا على لمّ الشمل، وصلة الأرحام، وزيادة النعم والخير والبركة بالحمد والرضا، سواء تناولنا الطعام بجانبها أو اشتريناه لتناوله في العمل أو مع الأسرة.

إن النظر إلى عربة الفول يكشف عن فن بسيط وذوق سامٍ. فهي نموذج لرقي التعامل، وتوارث العادات، وارتقاء العقول من أجل سلامة البقاء والإفادة. منها نتلمس خصال المصداقية ووضوح الوصف ونقاء القلوب، ولقاء الأرواح بلا أقنعة أو زخارف.

الفول وجبة لذيذة المذاق، طريقة إعداده سهلة وبسيطة، ويمكن أن يكون وجبة رئيسية في يومنا المعتاد. رخيص التكلفة، متوافر في الأسواق، وهو من البقوليات الغنية بعنصر البروتين، ويُعد غذاءً بديلًا عن اللحوم التي قد يعجز الفقراء عن شرائها. وتنتشر عربات الفول في أماكن وأزمنة محددة، خصوصًا في المناطق الشعبية صباحًا، وأحيانًا مساءً في مناطق أخرى.

إنها ثقافة غذاء شاملة، فيها تنوع واختلاف بين الخضار والفواكه واللحوم وسائر الأطعمة المتاحة، باختلاف ظروف حياتنا. وكلها تحمل ميزات مفيدة لبناء صحة جيدة، فلا ينبغي الاكتفاء بنوع واحد فقط.

في النهاية، تبقى المحبة والإخاء والخير والإنسانية بريق النعيم في جنات الإنسانية.

د. شاهر النهاري
كاتب . السعودية

عجائب الكذب السياسي تطوينا

لم يعد منكراً أن يكذب الجميع، بل إن الصدق أصبح ندرة في عالمنا الجديد بقيادة الرئيس الأمريكي ترامب، ووصافة شرطي الشرق الأوسط نتنياهو، رئيس وزراء الدولة المارقة إسرائيل. زمن أصبح الكذب فيه لغة رسمية للسياسة العالمية، ليس للتجميل والتبرير، بل بفجاجة وقحة، تضحك أحياناً، وترعب في أغلب الأحيان!

عالم إذا سمعنا فيه الخبر المطمئن، فالأجدر بنا أن نصدق نقيضه! فلم تعد السياسة تدار بحكمة الأخيار النبلاء، بل بتصريحات متناقضة، وتغريدات عشوائية، وقرارات رعناء تتخذ على وقع طبول الكذب.

عالم أُطلق العنان فيه لنتنياهو ليعيد تشكيل الشرق الأوسط وفق رؤيته المتطرفة، شرطياً "شبيحاً" قاتلاً، ودون اعتبار لأي قوانين دولية أو أعراف دبلوماسية.

أمريكا، التي تحتل قاعدة "العديد" العسكرية المتقدمة في قطر، تكذب بأنها لم تعلم بقصف الدوحة إلا في اللحظات الأخيرة! هذا التصريح وحده كافٍ لأن يُدرّس ضمن فنيات ابتداع كذبات السخرية السياسية. كيف لدولة تراقب كل شبر أرضي وجوي وبحري في المنطقة المحيطة أن تُفاجأ؟! وكيف يتوافق هذا الإنكار مع تهديد ترامب قبلها بأيام بمنح "فرصة أخيرة لحماس لإطلاق الأسرى جملة"؟ ثم وضوح تهربه بعدها وعدم اكتراثه بالحدث!

الكل تعاطف مع قطر، من محبيها وحتى ممن تضرروا من قناتها الجزيرة، فالمواقف الصعبة تستدعي أصالة العلاقات وتخطي الصغائر. وكنا نتوقع أن تكون قناة الجزيرة أكثر وأقرب القنوات في نقل ومتابعة الحدث! وكذبة تدور حول الوفد بعد نجاته، فلم يظهر أثره على أي وسيلة إعلام!

وللمفارقة الأعجب، أصبحت إسرائيل أكثر فضحاً للواقع من الجميع! تخطط، تتجسس، تقصف، تخترق الأجواء، تحرق وتهدم، وتصرخ علانية مبرزة لسان الحرباء: "نحن فعلنا ذلك"! بدلال يعرف أنها ناجية مهما فعلت!

إسرائيل تستغل هذا المناخ المسموم، وتقترف ما يحلو لها، وتراكم وقع صدماتها على الوعي العالمي الكاذب.

قطر، كانت تعتقد أن تفانيها وهداياها الكريمة لأمريكا، ووجود القاعدة الأعظم فيها، درع حصين لها، ولكنها وجدت نفسها وللمرة الثانية عارية أمام تبدل اتجاهات رياح القصف.

كثير من الدول التي تعاطفت مع قطر، وشجبت الفعل القبيح المجرم، فعلت ذلك إما إمعاناً في الكذب، أو رغبة في تأكيد سيادة القانون، وخشية ألا تكون أوطانهم أهدافاً قادمة لكذبات

جديدة. وحتى طريق الطائرات صار تهمة، وتراشقاً، وخبراً مكذوباً! ومؤكد أن لسان ترامب العجيب لن يلبث أن يفضح الجميع!

في عالمنا الجديد، من يكذب قد ينجو إلى حين، ومن يصدح بالحقيقة يُعامل كمضلل أو عدو، ويتهم بالجنون أو الخيانة! نعم، فالكذب في الوجه أصبح أكثر راحة وقبولاً، وأكثر دبلوماسية!

هل آن الأوان لتأسيس جامعة للكذب السياسي، تُدرّس فيها تصريحات ترامب، وبيانات إسرائيل، واستنكارات الدول المتحمسة في بيانات الشجب، واجتماعات مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة؟ وما يدريك، فربما تُمنح جائزة نوبل للمبدع في الكذب المتقن!

واقعاً نحن نعيش عصراً طباشيرياً لما بعد الحقيقة، الذي أعقب عصور التلاعب بجليد الواقع وبرونز التاريخ. عصر سريع المسح، يتحدث فيه الجميع بلغة واحدة:

"نحن نكذب، وننكر كذبنا، وأنتم تعرفون بأننا نكذب، وسوف تصدقونا، تحت طائلة الترهيب، وليس بالإقناع!"

تم النشر في صحيفة مكة، وأُعيد النشر لأهمية المقالة.

https://makkahnewspaper.com/article/e

سلموا سلاحكم حتى نذبحكم ولا نترك منكم بشر

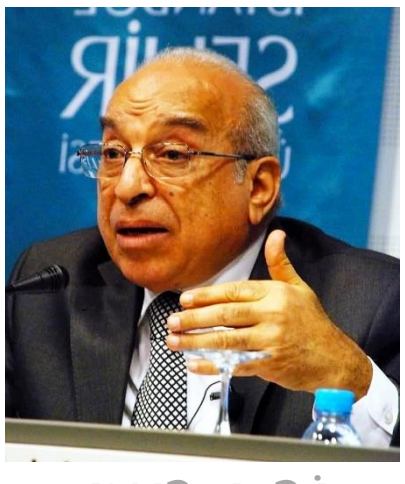

فهمي هويدي
كاتب. مفكر. مصر

إذا لم تفهم البوسنة فلن تفهم غزة. أفهموا البوسنة أولًا حتى تفهموا غزة وما يدور بها، وحتى لا تتعجبوا. حرب الإبادة التي شنها الصرب على مسلمي البوسنة استشهد فيها 300 ألف مسلم، واغتُصبت فيها 60 ألف امرأة وطفلة، وهُجّر منها مليون ونصف المليون. هل نتذكرها أم نسيناها أم لا تعرفون عنها شيئًا أصلًا؟

مذيع "سي إن إن" يتحدث عن ذكرى المجازر البوسنية، ويسأل كريستيانا أمانبور: هل التاريخ يعيد نفسه؟ كريستيانا تعلق أن البوسنة كانت حربًا قروسطية: قتل وحصار وتجويع للمسلمين، وأوروبا رفضت التدخل ووصفتها حربًا أهلية، وكان ذلك خرافة. استمر الهولوكوست نحو أربع سنوات، هدم الصرب أكثر من 800 مسجد بعضها يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر، وأحرقوا مكتبة سراييفو التاريخية. تدخلت الأمم المتحدة فوضعت بوابات على مداخل المدن الإسلامية مثل غوراجدة وسربرنيتسا وزيبا، لكنها كانت تحت الحصار والنار فلم تغنِ الحماية شيئًا.

وضع الصرب آلاف المسلمين في معسكرات اعتقال، وعذبوهم وجوعوهم حتى أصبحوا هياكل عظمية. ولما سُئل قائد صربي: لماذا؟ قال: إنهم لا يأكلون الخنزير. نشرت "الغارديان" أيام المجازر البوسنية خريطة على صفحة كاملة تُظهر مواقع معسكرات اغتصاب النساء المسلمات، 17 معسكرًا ضخمًا بعضها داخل صربيا نفسها. أغتصب الصرب الأطفال، طفلة عمرها أربع سنوات ونشرت "الغارديان" تقريرًا عنها بعنوان: "الطفلة التي كان ذنبها أنها مسلمة".

الجزار ملاديتش دعا قائد المسلمين في زيبا إلى اجتماع، وأهداه سيجارة، وضحك معه قليلًا، ثم أنقض عليه وذبحه. وفعلوا الأفاعيل في زيبا وأهلها. الجريمة الأشهر كانت حصار سربرنيتسا؛ كان الجنود الدوليون يسهرون مع الصرب ويرقصون، وكان بعضهم يساوم المسلمة على شرفها مقابل لقمة طعام. حاصر الصرب سربرنيتسا سنتين، لم يتوقف القصف لحظة. كان الصرب يأخذون جزءًا كبيرًا من المساعدات التي تصل إلى البلدة، ثم قرر الغرب تسليمها للذئاب: الكتيبة الهولندية التي تحمي سربرنيتسا تآمرت مع الصرب، وضغطت على المسلمين لتسليم أسلحتهم مقابل الأمان. رضخ المسلمون بعد إنهاك وعذاب، وبعد أن اطمأن الصرب أنقضوا على سربرنيتسا فعزلوا ذكورها عن إناثها، جمعوا 12,000 من الذكور (صبيانًا ورجالًا) وذبحوهم جميعًا ومثلوا بهم. من أشكال التمثيل أن الصربي كان يقف على الرجل المسلم فيحفر على وجهه وهو حي. كانت بعض النساء توسوس إلى الصربي أن يجهز عليها من شدة ما تلاقيه من الألم،

فكانت تقطع يدها ثم يجز رقب ابنها أمام عينيها. كانت المذبحة تجري ونحن نرى ونسمع ونأكل ونلهو ونلعب.

بعد ذبح سربرنيتسا دخل رادوفان كاراديتش المدينة فاتحًا وأعلن: سربرنيتسا كانت دائمًا صربية وعادت الآن إلى أحضان الصرب. كان الصرب يغتصبون المسلمات ويحبسنهن تسعة أشهر حتى تضع الحمل، لأنهم يريدون أن تلد المسلمات أطفالًا صربًا.

نحن نتذكر البوسنة وسراييفو وبانيا لوكا وسربرنيتسا. نقولها ونعيدها: لن ننسَ البلقان، لن ننسَ غرناطة، لن ننسَ فلسطين. وهنا يجب أن نسجل بمداد من العار مواقف أمين الأمم المتحدة آنذاك الذي انحاز بشكل سافر إلى الصرب. بعد ثلاثين عامًا لم نتعلم الدرس.

إضافة لابد منها: كان الصرب يتخيرون للقتل علماء الدين وأئمة المساجد والمثقفين ورجال الأعمال، كانوا يقيدونهم ثم يذبحونهم ويرمونهم في النهر. قصص التاريخ لا تُحكى للأطفال لكي يناموا، بل تُحكى للرجال لكي يستيقظوا. جزى الله خيرًا من قرأها ونشرها. ثم يأتي الآن من يلوم حماس ويقول إنهم سبب الحرب ولابد أن يسلموا أسلحتهم؟ هذا أقل من الحيوان عقلًا وأقل من الخنزير غيرة. هل تعلمنا الدرس يا أمة الإسلام؟

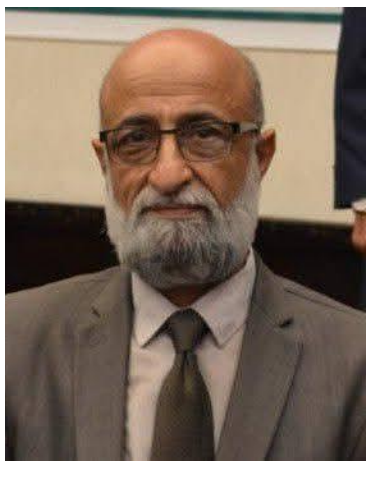

د. محمد الحمامي
رئيس تحرير وكالة الأنباء العالمية

نتنياهو وحلم "إسرائيل الكبرى": أيديولوجيا توراتية أم مشروع توسعي يهدد الشرق الأوسط؟

أشعلت تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو حول ما يُعرف بـ"إسرائيل من النيل إلى الفرات" جدلاً واسعاً في الأوساط السياسية والإعلامية، إذ وصف المشروع بأنه "مهمة تاريخية وروحية". وبينما يراه أنصاره جزءاً من "الرؤية التوراتية"، يعتبره خصومه إعلاناً عن مشروع توسعي يهدد استقرار المنطقة بأكملها. وتعود الجذور التاريخية للفكرة إلى نص توراتي يربط أرض الميعاد بالمسافة بين "نهر مصر" و"نهر الفرات"، ومع مرور الزمن تحوّل هذا النص من اعتقاد ديني إلى أداة سياسية داخل الحركة الصهيونية، واستُخدم لتبرير الطموحات التوسعية منذ قيام دولة إسرائيل عام 1948.

أما لماذا تم الإعلان الآن، فإن دوافع نتنياهو سياسية وداخلية بالدرجة الأولى، إذ يسعى إلى تقوية نفوذه وسط أزمات حكومته المتكررة. وإقليمياً، فهو يستغل حالة الضعف والانقسام العربي، بينما دولياً يوجه رسائل للقوى الكبرى بأن إسرائيل لا تزال "الحليف الأقوى" في مواجهة التحديات الإقليمية.

وقد واجه خطاب نتنياهو ردود فعل عربية وإقليمية، حيث:

مصر والأردن اعتبرتا التصريحات مساساً مباشراً بحدودهما وأمنهما القومي.

إيران وصفتها بأنها "مشروع فاشي يهدد العالم الإسلامي".

المحللون العرب حذّروا من أن إحياء هذه الرؤية قد يقود المنطقة إلى نزاعات تفوق في خطورتها حروب القرن الماضي.

أما الأبعاد الجيوسياسية لتحقيق حلم "من النيل إلى الفرات"، فهي تعني عملياً:

تهديد حصة مصر من مياه النيل وأمنها الحدودي.

تقويض استقرار الأردن وربما مستقبله السياسي.

استغلال هشاشة العراق وسوريا كمعبر للتوسع شرقاً.

هذه المخاطر تجعل المشروع ليس مجرد شعار سياسي، بل تهديداً مباشراً للمنطقة العربية ومستقبلها.

وهناك عدة سيناريوهات لمستقبل هذا الحلم:

1. أن يبقى الخطاب دعائياً لكسب تأييد اليمين الإسرائيلي.
2. تنفيذ تدريجي عبر السيطرة على الموارد وإضعاف الدول المحيطة.
3. مواجهة عسكرية مفتوحة قد تشعل نزاعاً إقليمياً واسعاً وربما حرباً عالمية.

في ضوء ذلك، فإن تصريحات نتنياهو الأخيرة ليست مجرد حديث انتخابي، بل رسالة واضحة تحمل أبعاداً استراتيجية عميقة. إنها دعوة مبطنة لإعادة رسم خريطة المنطقة. ومع ذلك، يبقى الرد العربي ضعيفاً ومتفرقاً، فيما يظل التحدي الأكبر أمام العواصم العربية اليوم هو صياغة موقف موحد قادر على كبح هذه الطموحات قبل أن تتحول من خطاب أيديولوجي إلى واقع جيوسياسي يُفرض بالقوة .

الهجوم المزدوج
بطولتا الشهيدين عبد المطلب القيسي وماهر الجازي في معبر الكرامة

في قلب الأردن، حيث ينبض التاريخ بالمقاومة والتضحية، برزت بطولتان أردنيتان خالدة، جسدت أسمى معاني الوفاء للقضية الفلسطينية ورفض الاحتلال. إنهما الشهيدان عبد المطلب القيسي وماهر الجازي، اللذان قدما حياتهما فداءً للحق والكرامة، معلنين أن الأردن لا يزال قلب الأمة النابض.

عبد المطلب القيسي: سائق المساعدات الذي أصبح رمزًا للمقاومة

وُلد عبد المطلب القيسي في عام 1968 في منطقة الظهير بمرج الحمام، جنوب غرب عمان، وانحدر من عشيرة القيسي في قرية الدليلة بمحافظة مادبا. عمل لسنوات طويلة سائقًا في قطاع الشحن، وقرر قبل أشهر أن يخصص شاحنته لنقل المساعدات الإنسانية إلى غزة عبر معبر الكرامة.

في 18 سبتمبر 2025، أوقف القيسي شاحنته عند نقطة التفتيش في المعبر، ثم أطلق النار على الجنود الإسرائيليين، ما أسفر عن مقتل جنديين قبل استشهاده. في وصيته، حذر من أن "ما ترتكبه إسرائيل اليوم في غزة سيحدث يومًا ما في بلداننا وأوطاننا"، مؤكدًا أن دماء الشهداء أمانة في أعناق الأجيال القادمة.

ماهر الجازي: الشهيد الذي ألهم الأمة

في 8 سبتمبر 2024، نفذ الشهيد ماهر الجازي، سائق شاحنة من قرية أذرح بمحافظة معان، عملية بطولية مماثلة في معبر الكرامة، حيث أطلق النار على الجنود الإسرائيليين، مما أدى إلى مقتل ثلاثة منهم قبل استشهاده. في وصيته، طلب من الناس عدم ذكر اسمه، بل تذكر موقفه كمصدر إلهام للأمة العربية لاتخاذ موقف تجاه الاحتلال.

الأردن: أرض البطولة والمقاومة

.

تضحيات القيسي والجازي تعكس روح المقاومة التي لا تموت في قلب الأردن. لقد أثبتا أن الشعب الأردني، رغم التحديات، لا يزال يحمل في قلبه قضية فلسطين، وأنه مستعد دائمًا للوقوف في وجه الظلم والاحتلال.

إن بطولتهما في الهجوم المزدوج على معبر الكرامة ستظل مصدر إلهام للأجيال القادمة، وستبقى تضحياتهما علامة مضيئة في صفحات النضال العربي ضد الاحتلال

مثاقفات عربية

التراث في أطيافِ الاغتراب قراءة في ديوان «للغرباءِ والمنفى» للشاعرة السورية ريم البيّاتي

الحبكة ذات الحدث المتصاعد في شعر محمد عبدالله البريكي

التغيّر والتحول الدلالي في ديوان (فرصة حب) للشاعرة الفلسطينية همسة يونس

تحريك الشرر من تحت الرماد في رواية (أطياف) للكاتبة والاديبة وفاء داري

« صنعائي » رواية للأديبة اليمنية نادية الكوكباني، انطباع قارئ للرواية، وليست قراءة نقدية

اللا مبالاة في مجموعة "آنست نورا" القصصية للقاص السوداني: حسين محمد خاطر قراءة تحليلية

Farouk Coffee , Alexandria , by Khaled Hanno , oil on wood 40 x 50 cm 2023

مقهى فاروق . للفنان التشكيلي المصري . د. خالد هنو

التراث في أطياف الاغتراب

قراءة في ديوان «للغرباء والمنفى» للشاعرة السورية ريم البياتي

ميرغني ابشر عثمان
كاتب . ناقد . باحث
سوداني مقيم في الإمارات
عضو اتحاد الأدباء السودانيين

لا يبدو ديوان «للغرباء والمنفى» لريم البياتي كتاباً شعرياً بالمعنى المألوف للكلمة، بل أشبه ما يكون بمخطوط حضاري مفتوح، تتقاطع فيه الأزمنة وتتجاور فيه الأصوات، من بهلول السومري حتى صرخة المرأة الأفغانية في جبال هندكوش. هكذا أخذني لعوالمه وأزمنته الخاصة، وقد (بحرته) دفعة واحدة، لأنه صادر من أودية الشعر المحجوبة عن مداد المحاكاة.

هذا الامتداد ليس ترفاً معرفياً، بل هو استدعاء تاريخي–روحي لتشريح اللحظة العربية المعاصرة بما فيها من انكسار وتشتت ونزوح. وكأن الشاعرة أرادت أن تقول: إن مأساتنا ليست طارئة، بل هي مرآة متجددة لحكايات القهر منذ الطوفان الأول وحتى حروب اليوم.

ولكن دعونا في الأول نحاكي ما توافقت عليه افتتاحيات المقالات النقدية ونعرف بشاعرتنا ريم البياتي (يسرى رجب مصطفى)، من مواليد بلدة الصفصافة في محافظـــة طرطوس بسوريا، درست لسنوات في كلية الحقوق بجامعة دمشق. أصدرت حتى الآن ستة دواوين شعرية تُعد من أبرزها: شوك السنابل (2020)، هذيان الحطب (2020)، لتلك الوجوه أصلي (2021)، مزامير الوجع (2022)، للغرباء والمنفى (2022) – محل اشتغالنا – وبوابات الهلع (نص درامي، 2023).

وهي عضو جمعية الشعر في اتحاد الكتاب العرب، ومشاركة دائمة في مهرجانات شعرية عربية، حازت على تقدير نقدي كبير لنفسها الملحمي، والعمق الثقافي والتاريخي في شعرها، وقراءتها المبتكرة لقضايا الإنسان والمجتمع.

المقدس والتراث السومري: رمزية تضيء الحاضر:

تفتتح البياتي ديوانها بـ «سفر بهلول السومري»، حيث تستحضر شخصية غائمة بين الفلسفة والأسطورة:

"بهلول عاد من زمانه
محملاً بالغيم والسنابل
من نجمة كهوفها ضياء
وفي تخومها
كخاتم العروس
يحيط قلب النبع بالجداول
بهلول من مدينة جرارها قديمة
وخمرها معتق لا يفسد
يصب في جديدها
فتزهر الجرار لا تبدد
يظل في مداره
جوهرة مؤبد"

تتبدى هنا رمزية الخمر المعتق بوصفها ذاكرة حضارية لا تتلف، تُسكب في جرار الحاضر لتفضح عطبه. يشبه هذا الاستدعاء ما فعله صلاح عبد الصبور حين جعل من الحلاج في مسرحيته

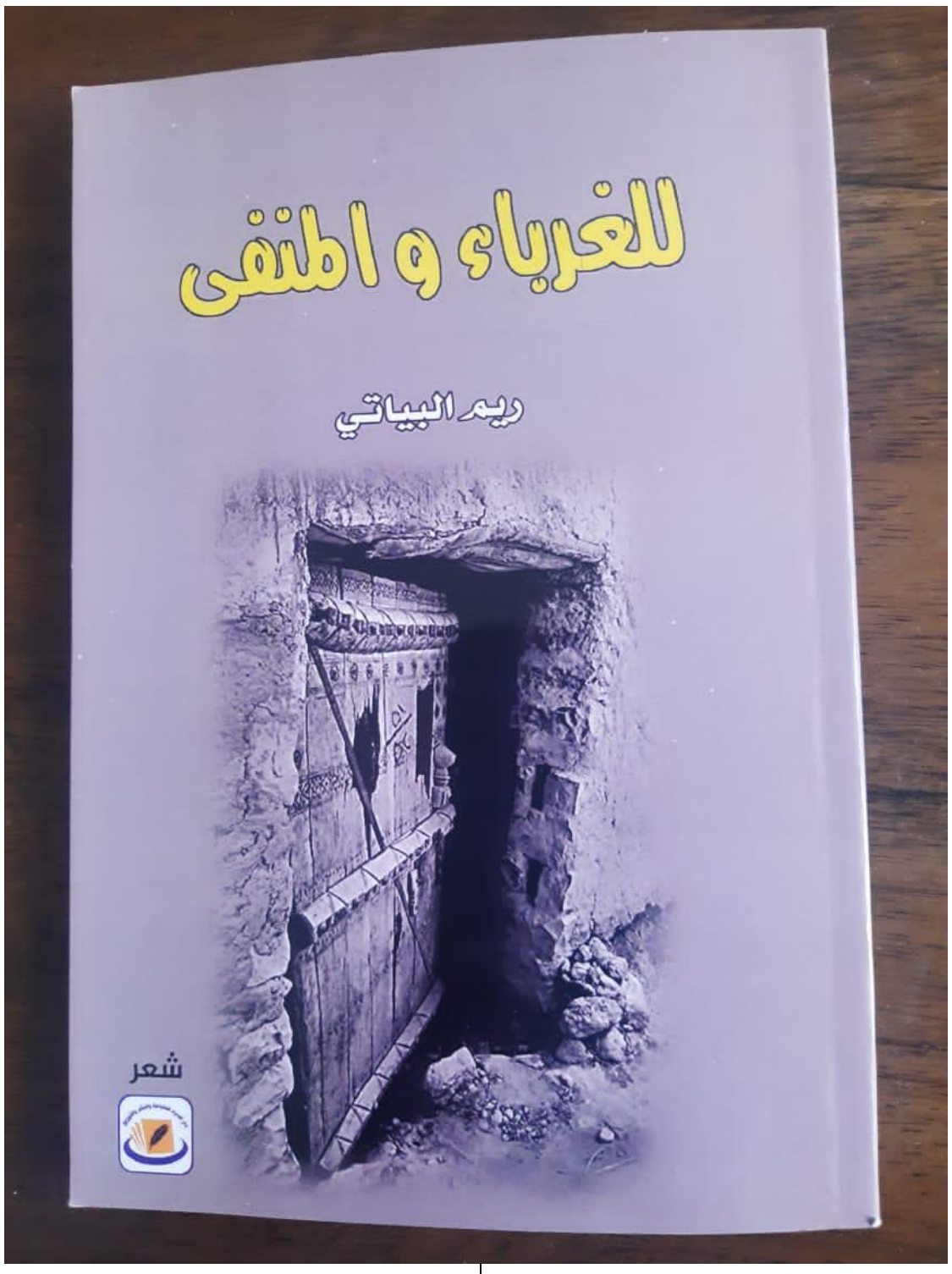

الشعرية رمزاً للحرية المصلوبة، فكما صُلب الحلاج ليبقى صوته شاهداً على الظلم، فإن بهلول يعود من سومر محملاً بالغيم والسنابل ليذكّرنا بأن الصراع أبدي بين خصب الأرض وجفاف الطغيان.

ولعل القارئ يجد صدى لهذا الاستدعاء في شعر أمل دنقل، ولا سيمـــا في «لا تصـــالح»، حيث تتحول الأسطورة إلى أداة مواجهة سياسية. لكن الفرق أن دنقل يرفع السيف صريحاً، بينما البياتي تسكب الخمر في جرار الزمن، لتجعل من الذاكرة سلاحاً ضد النسيان.

يتميز الديوان بقدرة خاصة على صوغ المفردة بما يجعلها ذات جرس قرآني، يلامس الأذن قبل أن يستقر في الوجدان. نقرأ في «قمصان الغلال»:

"وحين موتانا من الأجداث
يوماً ينسلونَ / سيسألون / يا رب... ما بعنا حليب المرضعات"

إيقاع الآية يتردد في الكلمات: الأجداث – ينسلون – سيسألون. هذه البنية ليست محاكاة شكلية، بل هي استدعاء لنبرة القداسة كي تحاكم واقعاً دنيوياً فاسداً. تضفر ريم الجرس القرآني لتجعل من نغم النص المقدس نسيجاً شعرياً يفيض بالموسيقى الداخلية.

وهنا نجد التصوير القرآني يجاور الوجع الإنساني. ولصوتها أنثوية، يختلط فيها الحليب بدمع الأمهات، لينطوي قرآنها الجَرسي نصاً مقدساً ومرآة لمعاناة الجسد العربي الممزق.

الاغتراب العربي والسياسة:

يبرز الهمّ السياسي في الديوان بوصفه قدراً لا مفر منه. في «عودة عنترة»، يتحول الفارس الجاهلي إلى مرآة لهزيمتنا الراهنة:

"عنترة عاد بخفّي هزيمتنا / بعيون ميتة صفراء كأوراق التاريخ"

المفارقة هنا حادة: عنترة الذي عرفناه بطلاً، يعود اليوم بخفّي حنين، كاشفاً إفلاس الحاضر. هذه المفارقة (تهابش) أمل دنقل في «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»، حين جعل من زرقاء الأسطورية شاهدة على عجز العرب المعاصرين.

غير أن البياتي لا تكتفي بالاستدعاء الرمزي، بل تحوّل النص إلى مشهد اغتراب شامل: أوطان تُنهب، مدن تغرق في الرماد، وأصوات الشعراء تُقمع. هكذا تضعنا الشاعرة أمام سؤال الوجود ذاته: هل خسرنا معاركنا لأننا فقدنا القدرة على تسمية العدو؟

وهنا نقف قليلاً مع محمول الديوان كله، أعني القصيدة التي حمل الديوان وسمها «للغرباء والمنفى». فهي ليست «قصيدة عنوان» سطحية؛ بل عمل تأسيسي يضع مشهد المنفى كحالة وجودية كاملة — لا كخلفية سردية فقط — ويبتدع من منطق الاغتراب أفق رؤية بلغة صور متوازية تشكّل عوالم نفسية مستقلة.

النص لا يكتفي برصد الألم: إنه يصوغ له أشكالاً، يختبره، ويسأل عنه. فالقصيدة تبني عالمها النفسي عبر صور متوازية، ولكنها في واقع النص الشعري تقنية تركيب: الشاعرة تضع صورتين أو أكثر جنباً إلى جنب ولكن ليس للتضاد البسيط، بل لخلق مساحة ثالثة نفسية حيث تترسخ الدلالة. إنها تُحيل المنفى إلى قوة أسطورية — لا غياب فحسب، بل عبادة وتقديس للخواء ذاته — فتنتج «مقاماً» نفسياً جديداً يشرح كيف يصبح الخواء مقدساً في تجربة المنفى.

و ريم هنا لا تقدّم هذه التوازيات كجدليات لغوية بسيطة، بل كعناصر تعكس انقسام الذات في الغربة. والمنفى في القصيدة يتعدى أن يكون مكاناً ويغدو بنية وعي كاملة تعيد صياغة المشاعر والعلاقات والأشياء. أسمع معي هذه المتوازيات، ثم لنقف عند بعضها محاولين مشاهدة جوانية النص ما أمكن:

"لفكّ الليل والغرباء والمنفى،/وهذا البحر آلهة،/ولهذا الرمل عباد وآلهة!/لهذا الأحمر المحموم في رئتي/سكاكين تغازله،

وبعض الظن آلهة."

"ولي عينان سوداوان مثل الحزن لا يبكيهما الضجر"

"قالوا: إنه القدر، لهذا البحر ما للبحر من نزق/ ولى كفان بللتا سفوح ملاحم الغرق/ مقطعة حبال الفلك/ والربان ضيّع وجهة الطرق"

"صغاري يعشقون الغيم/ يقتسمونه لعباً/ لكل غيمة بيضاء أو سوداء لا فرق/ وقد سمّوا غمائمهم على أسماء من رحلوا"

والآن فلننظر لهذه المتقابلات:

"فكّ للبحر آلهة / ولهذا الرمل عبّاد وآلهة"

تجد البيت يُحوّل البحر إلى معبد، والرمل إلى طقسٍ من طقوس العبادة.

هنا تظهر بجلاء "التصورات الموازية": البحر (اتساع/لا نهائية) يقابله الرمل (تفتت/تذرية)، وكلاهما يصير كياناً ميتافيزيقياً. إنها إجابة شعرية على سؤال: ماذا يفعل المنفى بالإنسان؟ يجعل الطبيعة نفسها إلهاً جديداً يُعبد، لأن الغريب في منفاه يبحث عن سند روحي حتى لو كان في الرمل.

وفي توازٍ آخر:

"عينان سوداوان مثل الحزن / لا تبكيان من الضجر"

هنا ينتقل النص إلى عالم سيكولوجي صرف: العيون السوداء هي رمز الجمال، لكن الشاعرة تخلع عنها سمة الدمع. المنفى يحوّل العين إلى مرآة للحزن الصامت، لا للحزن المتفجّر. إنها صورة الجرح الكامن: الحزن أصبح جزءاً من البنية النفسية، لا عارضاً عاطفياً.

"قالوا: إنه القدر / والربان ضيّع وجهة الطرق"

هذا البيت يجمع بين التبرير (القدر) والاتهام (الربان الضائع). إنه نقد سيكولوجي للمجتمع: الإنسان في منفاه يسمع مَن يبررون له الخسارة بالقدر، بينما يعرف في أعماقه أن هناك مَن أضاع الاتجاه. هنا يظهر الوعي السياسي–الوجودي: المنفى ليس فقط قسمة سماوية، بل نتيجة قيادة ضالة.

"الغرباء في المنافي / يكتبون أسماءهم على الغيم / لعلّ المطر يتذكرهم"

من أجمل الصور الوجودية: الكتابة على الغيم عمل عبثي (لأن الغيم لا يحفظ)، لكنه هنا فعل أملٍ وحنين. المنفى يبتكر "عقيدة" جديدة: أن المطر قادر على حمل الأسماء إلى الوطن. إنها إجابة شعرية على سؤال الهوية في الاغتراب: كيف يثبت الغريب وجوده؟ بالكتابة على الغيم، أي بالاعتماد على اللامرئي والعارض.

واللغة في القصيدة ليست مجرد أداة وصف، بل آلة فاعلة تُجرّب إحساس الوجود. لذلك نرى صوراً تبدو متناقضة ظاهرياً: «الضوء... شحيح» ثم «انهمرت خيالات» — أي أن شحّ الضوء لم يمنع فيض الخيال، بل جعله أكثر إلحاحاً. هذه الحيل الأسلوبية تحوّل اللغة إلى مختبر: تجريب لمعنى الوجود تحت ظل القهر والاغتراب.

فريم تطرح في نصها- محمول الديوان- أسئلة مصيرية: لماذا هذا الغياب؟ لماذا يصبح البحر إلهاً؟ لماذا لا تبكي العيون؟ لكنها لا تعطي إجابات عقلانية، بل تُجيب شعرياً — بإعادة تكوين مفردات الوجود: القدر، الربان الضائع، الغيوم المسماة باسم الراحلين. ففي قولها: «قالوا: إنه القدر... والربان ضيّع وجهة الطرق»، تشخيص

لآلية تبرير الخسارة، وإدانة لعبثية القيادة/القيادة المفقودة. القصيدة بالتالي تحوّل السؤال إلى فعل نقدي عبر الصور.

إن قصيدة «للغرباء والمنفى» تبني لنا خريطة نفسية جديدة: خريطة جغرافية للهجرة، وخريطة داخلية لنمط تفكيرٍ وذاكرةٍ ووجدانٍ ينتج من الانفصال. الشاعرة تصنع من الألم بنية معرفية ـــ تستدعي فيها الآلهة والبحار والملح والضوء لوصف حالة إنسانية مركّبة. قراءة هذه القصيدة تعني قراءة حالات التحوّل النفسي التي يحدثها المنفى، وفهم كيف يمكن للشعر أن يكون آلة لعلاج الوجود أو لتسميته باسمه.

المرأة بين الميراث والراهن:

من أبرز ملامح الديوان انفتاحه على قضايا المرأة، ليس في العراق وحده، بل حتى في أفغانستان. نقرأ في «أزهار هندكوش»:

"بنات الحزن الصامت / يمشين على كعب الأزهار / يسرن حذار العشق"

وفي النص ذاته:

"كابول التحفت تشادور الردّة / واعتمرت البروكا"

هذه الصور الموجعة تجعل المرأة جسداً مغيَّباً، محاصراً بثقافة تكرّس الجهل والتجهيل.

وفي هذا، يذكّرنا صوت البياتي بما كتبته فدوى طوقان عن قهر الأنثى في مجتمعها، غير أن البياتي تذهب أبعد: فهي لا تتحدث عن المرأة كفرد، بل كرمز حضاري مسلوب الإرادة.

وقبيل أن نغادر منفى البياتي نهابش سِراعاً استحضرها للجغرافيا والطبيعة وإعادة موضعتهما في نصها الشعري لتجسد النفسي ، ففي قصيدة «بدر العراق»، تتماهى الطبيعة مع الإنسان:

"يحيى وهذا الصبح عصفوران / يرتشفان أوردة الندى"

العصفوران هنا يحضران كصورة رومانسية وادعة ليعمّقا لاحقاً المأساة. إنهما استعارة جمالية لبراءة تُسحق تحت سنابك الجلاد. الجغرافيا (النهر، النخيل، الجبال) تتحول إلى جغرافيا للروح. هذه الرؤية تحوّل التضاريس إلى علامات وجودية، تعطيها البياتي بعداً مأساوياً أكثر، فهي جغرافيا الدم والتهجير.

واخيراً يمتلئ الديوان بالتكرارات التي تضفي نغماً إنشادياً:

"ما همني... لو دارت الدنيا على كعبٍ"

هذا التكرار يذكّرنا بالإنشاد الصوفي، حيث تتكرر العبارات لتفتح باب الغيب. وهو قريب من إيقاعات أمل دنقل في قصيدته «لا تصالح»، حيث الترديد يكتسب قوة الأمر والتحريض. أما عند البياتي فالتكرار أقرب إلى نواحٍ جماعي، أشبه بمراثٍ تُتلى في منفى لا ينتهي.

ما يشبه الخاتمة

يمكن القول إن ديوان ريم البياتي «للغرباء والمنفى» نصّ شعري يتجاوز حدود القصيدة العربية التقليدية ليصبح أطلساً للذاكرة والجرح. إنه نصّ يتمدد ليربط سومر ببابل، والفترة الجاهلة من تاريخنا تحضر في مرآة حاضرنا المعيش مستبدلة بصلابتها مآسي الانكسارات. وفيه يمسك فرات العراق بسفوح كابول، والمرأة الحاضرة تستعيد عشتاروت، والمنفى يستدعي التراث مؤاساة وجبر خاطر، حاملاً وجدانياً لتشرده.

الشاعرة لا تستدعي الأساطير للتفاخر بالمعرفة التاريخية، بل لتلوين الحاضر بموازين نفسية عميقة: الآلهة، الرموز، أسماء المدن، كلها تُستدعى لتكشف أن المنفى هو استمرار لسجلات قديمة من العَوْر والحرمان، وأن النفس المنافية تتعلم لغة أسطورية لتصدّي الواقع. بهذه الطريقة تُصبح الأسطورة بوصلة نفسية، لا مجرد مرجع ثقافي.

ومن خلال ذلك كله، تضع الشاعرة نفسها في مصاف الأصوات الشعرية الكبرى التي جعلت من الشعر ساحة للتاريخ، مثل صلاح عبد الصبور وأمل دنقل. لكن الفرق أن صوتها يخرج من منفى أنثوي خاص، يجعل من الجرح مرآة، ويرتسم عنده المنفى وطناً لغوياً بديلاً. وبذلك، يكتسب الديوان بعده الثقافي العميق، ويصير قراءة في أزمة الإنسان العربي مثلما هو إنشاد لجغرافية المنفى. ولنا رُجعى، بإذن الله، مع آخر إصداراتها «بوابات الهلع».

الحبكة ذات الحدث المتصاعد في شعر محمد عبدالله البريكي

د. عبدالله محمد عثمان العبادي
كاتب. ناقد. السودان

الحبكة مجموعة من الأحداث المترابطة داخل فضاء النص، وتأتي أهميتها من الدور الحيوي الذي تلعبه في النظام السردي، وكيف أنها تؤدي وظيفته. فهي التي تعيد ترتيب الوظائف السردية بتنظيم تراتيبي جديد، عن طريق إعادة ترتيبها في مجموعات مختلفة من التحولات الوظيفية.

ومما يمثل الحبكة ذات الحدث المتصاعد في شعر مُحمَّد عبدالله البريكي قصيدته التي تحمل عنوان: (بدأت مع البحر)، التي تمثل نصاً مسروداً، حمل في ثناياه ألواناً من القص الحكائي ضمن صورته الشعرية، كما ظهرت فيه القدرة الفائقة للشاعر البريكي في التصوير، وكيف استطاع أن يستحضر الماضي ضمن بنائه السردي. وقد ظهر ذلك جلياً في التعبير عن طفولته الأولى، حيث يقول:

وَقَبلَ الأحدْ...

بَدَأتُ مَعَ البَحر

أَركَبُ أَمواجَهُ

يَومَ بَشَّرَتِ الدَّايَةُ البَيتَ

قَالَت: وَلَد

يَقُولُونَ: حَارَتُنَا ابتَهَجَت

النِّسَاءُ يُصَافِحنَ أُمِّي

وَأُمِّي تَهُزُّ البِشَارَةَ فِي قَلبِهَا

ثُمَّ يَسقُطُ عَنهَا الكَمَدْ

وَأَبِي ذَلِكَ العَالِمُ الشَّيخُ

أَذَّنَ ثُمَّ أَقَام الصَّلاةَ

لِتَبدأَ رِحلَةَ هَذَا الصَّبِيِّ مَعَ الوَقتِ

ثُمَّ كَبِرتُ

وَقَلَّمتُ مِنْ غَفَوَاتِي أَظَافِرَ نَومِي كَرَاهِيَّةً

حَينَ يَأتِي إِلَي بَابِنَا "البَاص"

يَأخُذُ قَلبِي إِلَى المَدرَسَةْ.

يُلحظ في النص أن السرد الشعري جاء متسلسلاً من خلال أحداث متتالية، حيث بدأت هذه الأحداث بالولادة، وما صاحبها من انتشار الأفراح حتى عند الجيران بهذا المولود الذكر القادم. ثم يستمر الشاعر في تسلسل أحداث حكايته إلى أن يشتد عود هذا الصبي ويكبر ويبدأ في شق طريقه في الحياة بدخوله المدرسة.

جاءت الأبيات السابقة في تسلسل شعري أتقن فيه الشاعر مُحمَّد عبدالله البريكي البناء الفني بمفردات تلاءم دراما النص، وبأسلوب خطابي يتلاءم معها.

وفي قصيدة (ننام على الريش)، التي بدأها بصورة حوارية دارت بينه وبين امرأة، مرتكزاً فيها على قصة قميص سيدنا يوسف عليه السلام، حيث يقول:

وَقَالَتْ:

مَن الطَّارِقُ الآنَ

وَاللَّيلُ يَسكُنُ؟

مِن صَمتِهِ مِدفَأَةً؟

دَعِ البَابَ وَأغرُبْ

فَلَستُ الَّتِي إِن تَغِيبَ عَنهَا الضِّيَاءَ

تُفَتِّشُ عَن ظُلمَةٍ تَكتَسِبُ النُّورِ

حَتَّى إِذَا عَادَ

عَادَ لِيَسأَلَ: مَن أَطفَأَهُ؟

بدأ الشاعر سرده في هذا النص بحواره مع هذه المرأة، التي تسأله من الطارق بليل، والبيت ناطوره غائب، والليل شتاء. ولكن مع هذا السرد، فالصمت يجعل الليل البارد مدفأة، وتطلب منه هذه المرأة بأن يدع الباب ويذهب، فهي ليست من اللائي يفتشن عن ظلمة تكتسب النور حينما يغيب عنها الضياء.

وفي تصاعد للحدث تأتي إجابته لهذه المرأة الوطن؛ فيقول:

أَنَا لَستُ فِي غَيبَةٍ عَن قَمِيص

فَقَد قُدَّ مِن قُبلٍ حِينَ قُلتُ لِرَبِّي

أُرِيدُ صَلَاحَ ابتِهَالَاتِنَا فِي السَّمَاءِ

عَن عَينِ مَن يَنقُلُونَ لِعَينِكِ صُورَةَ أَكوَاخِنَا

إِنَّهَا مِن رُخَامٍ

وَإِنَّا نَنَامُ عَلَى الرِّيشِ

تَجرِي الجَدَاوِلُ تَحتَ خُطَانَا.

فقد أفضى الحوار الذي دار بين الشاعر والمرأة الوطن إلى تصاعد الأحداث في هذا السرد المحكم؛ الذي يستصحب فيه الشاعر قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وكيف جعل من هذا القميص رمزاً لإقباله على قضايا وشؤون وطنه، لأن قميصه لم يُقد من دبر، فهو مقبل يريد الصلاح، داعياً ربه بالستر عن عيون من ينقلون صورة حياته. كما يُلحظ أنه يُبدي رفضه القاطع للواقع الذي يعيشه وتعيشه أمته العربية، متخذاً من قميص سيدنا يوسف عليه السلام أداة تدعم سرده وتبين من خلال هذه الآلية (القميص) عدم إدباره للواقع، كما بين من قبل رفضه له.

ومن نماذج الحبكة ذات الحدث الصاعد في شعر البريكي ما جاء في قصيدة (نقطة في أقاصي المحيط)، حيث يقول:

دَخَلتُ المَدِينَةَ

هَذِهِ العَتِيقَةُ بِالحُبِّ

مِن بَابِ بَحرٍ يَسِيرُ إِلَى جَامِعٍ

يَدخُلُ القَلبُ مِن بَابِهِ

وَالعَتِيقَةُ تَلمَحُ سُمرَةَ وَجهِي

وَشَيئاً مِنَ السَّمْرِ وَالغَافِ وَالنَّخلِ

وَالفَلجِ المُتَدَفِّقِ فِي الرُّوحِ،

تَلمَحُ أُمِّي

يَسِيرُ دُعَاهَا بُرَاقاً أَمَامِي

وَوَجهُ أَبِي فِي مَلَامِحِ صَوتِي

يُعَلِّمُنِي أَن أُصَافِحَ بِالبَسمَةِ

الطَّيرَ وَالنَّاسَ

أَمسَحُ دَمعَ اليَتَامَى بِعَينِي

وَأُجلِسُهُم فِي الأَحَاسِيسِ

قَبل الجَسَدْ..

ويستمر الشاعر في سرد الأحداث متسلسلة، فيبين كيف دخل المدينة من (باب بحر) يشير إلى جامع، ثم يحكي عن العتيقة، وكيف تلمح سمرة وجهه والغاف والنخل والفلج المتدفق في روحه، وكيف تلمح أمه ودعواتها كأنها البراق أمامه لتنير طريقه، ويتذكر ملامح وجه أبيه في صوته حين كان يعلمه أن يصافح الناس بالبسمة، وأن يمسح دموع اليتامى بعينيه ويجلسهم في أحاسيسه قبل جسدهم.

ويواصل الشاعر في رسم حبكة ذات أحداث متصاعدة فيقول:

رَمَيتُ بِسِنَّارَتِي فِي بِحَارِ المَعَانِي

لِأَصطَادَ إِنسَانِيَ المُتَجَوِّلَ فِي رِئتِي

وَرَفَعتُ فُؤَادِي قَلِيلاً عَنِ المَاءِ

فَارتَفَعَت مِنهُ حُورِيَّةٌ

قَالَ لِي دَفتَرِى:

هَذِهِ البِنتُ قُرطَاجُ

قُلتُ: مَـــــــــدَدْ

قَلِيلٌ عَلَى الحَرفِ مِن عُشبِ قُرطَاجَ

يَا مُنصِفُ الآنَ يَكفِي

لِأَجعَلَ هَذَا القَصِيدَ بَلَدْ.

ويظهر مما سبق أن الأحداث المتصاعدة أدت إلى عدة وظائف، مثل احتفاء الشاعر بشعره الذي جعله كاللؤلؤ، كما حملت الأحداث حب الشاعر لقرطاج، وقد أدي ضمير المتكلم وظيفة الربط بين الأحداث المتتابعة.

ومن نماذج الحبكة ذات الحدث الصاعد أيضًا قصيدة (غزة.. تنهض كالعنقاء)، حيث يقول:

غَزَّةُ فَينَقٌ يَنهَضُ

مِن تَحتَ رِكَامِ المَوتِ

وَيَرمِي فِي وَجهِ المُحتَلّ رَمَاداً

غَزَّةُ

تَنبُتُ كَالزّيتُونِ

يُضِيءُ

وَتُنبِتُ غُصناً آخَرَ

صَبراً

وَعتَاداً

وَلَهَا يَتَدَفَّقُ نَبضُ الوُجدَانِ

وَيَنطِقُ.

بدأت القصيدة عبر صوت داخلي في أعماق الشاعر، الذي يتحدث عن نهوض غزة من تحت ركام الموت، ثم يتقدم بالحدث خطوة، مبينًا أن غزة سترمي في وجه المحتل رماداً، ويتقدم خطوة أخرى تعبر عن حلم السلام بداخله، وأن غزة ستنبت كالزيتون صبراً وعتاداً، ويتدفق من أجلها نبض الوجدان وينطق.

ثم يصل الشاعر بالحبكة إلى ذروة الأحداث، وهي أن القيد لا بد أن ينكسر، وتتحرر فلسطين؛ فيقول:

لَن يَبقَى يَا غَزَّةُ

فِي القَيدِ كَثِيراً

فَالطَّائِرُ مَلَّ التِّيهَ

وَآنَ لَهُ أَن يَخرُجَ

لِلمَلَكُوتِ

وَيَرفَعَ رَايَةَ هَذِى الأَرضْ

وَفِلَسطِينُ

سَتَبقَى مِحوَرَهُ

وَمَحَبّتُهُ سِجَّادَةُ شَوقٍ وَخُشُوعٍ

وَصَلَاةِ الفَرض.

ويستمر الشاعر في رصد الأحداث تصاعدياً وفي أسلوب حواري، مبينًا أنه لم يبقَ الكثير حتى تتحرر غزة من قيد المحتل، وأن الطائر قد ملَّ التيه والترحال، مشبّهًا بعض أبناء غزة بالطيور المهاجرة هرباً من جحيم المحتل وويلاته.

ومن القصائد التي تمثل الحبكة ذات الحدث الصاعد أيضًا قصيدة (وجهة الحالمين)، التي تعدّ لوحة من صور أحداث الزمن في وطن الشاعر، وهي دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث يقول:

رَفَعنَا الأَمَانِي عَلَى السَّارِيَهْ

لِأَجلِكِ يَـا أَرضُ، يَـــا غَالِيَهْ

صَعَدنَا إِلَى الأُفقِ، قُلنَا لَهُ:

بِلَادُ العَطَـا لَـــم تَعُـدْ خَالِيهْ

إِلَى كَوكَبٍ لَونُهُ كَالخِضَابِ

سَتَسكُنُـــهُ هِمَّـــةٌ

عَالِيَـــهْ.

يتجه الشاعر في هذا النص إلى استحضار القصة في قالب قصصي للتعبير عن واقع وماضي الإمارات، مستخدماً ضمير المتكلمين (نا) في (رفعنا، صعدنا) لبناء الأحداث، إذ كانت الأحداث المتتابعة والمتصاعدة مرتبطة بهذا الضمير، مؤكدة أن الشاعر جزء من هذه الأحداث، يؤثر ويتأثر بالعوامل الخارجية.

ويبدأ بالحدث الأول وهو أماني وطموحات أمته في هذه الأرض الغالية، وبين أن الأرض لم تعد خالية، ويستمر الشاعر في شحن الأحداث بضمير المتكلم، فيقول:

نَقُولُ لِأَحلَامِنَـا وَهيَ تَمشِـي

عَلَى غَيمَةٍ فِي تُخُومِ السَّمَاءْ:

نَبَتنَا مِنَ الأَرضِ حَتَّى كَبِرنَـــا

وَفِـــي الأَرضِ مُتَّسَـــعٌ لِلنَّمَـــاءْ

وَمَن يَتَأَمَّـلْ يَرَ الأَرضَ تَنمُو

ثِمَـــاراً وَنَخـلاً وَحُبَّـــاً وَمَـــاءْ

لَقَد بَثَّ (زَايِدُ) فِيهَا الحَيَـاةَ

وَأَيقَظَهَـا مِن سُفُـوحِ السُّبَـاتْ

وَسَوَّرَهَـــا بِالأَمَـــــانِ فَعَاشَت

عَلَـى السِّلمِ وَالحُبِّ وَالأُمنَيَاتْ

وَلَمَّـا تَرَجَّـلَ، قَامَت تُغَنِّـــي:

تَعِيشُ بِخَيـرِكَ هَذِى الجِهَـاتْ

وَجَـــاءَت إِمَارَاتُهُ لِلكَرِيـمِ الوَفِيِّ المُحِبِّ المُودِّ (خَلِيفَهْ).

يشير النص إلى أن النهضة بدأت بحلم يسعى أهله لتحقيقه، ثم ينتقل الشاعر إلى تصاعد الأحداث، إذ وصلت الأحلام عنان السماء، ونهضت الأرض التي نبتت فيها ثمار ونخيل وماء بفضل (زايد)، الذي بث الحياة والروح فيها وسوّرها بالأمن والأمان، فكانت النتيجة حياة في سلم وحب وأمنيات بغد مشرق، مع استمرار الخير بعد ترجله في خليفة الوفي المحب.

النص سار من بدايته إلى نهايته وفق نظام سردي تصاعدي، أراد من خلاله الشاعر تصوير مرحلة تاريخية معروفة بأسلوب أدبي، يعكس نهضة الإمارات.

التغيّر والتحوّل الدلالي في ديوان (فرصة حب) للشاعرة الفلسطينية همسة يونس

حسن غريب أحمد
كاتب . ناقد . مصر

تلفتنا الشاعرة همسة يونس في ديوانها فرصة حب منذ البداية بعناوين قصائدها، باعتبارها المفتاح الذهبي للولوج إلى عالم النص والوقوف على أسراره. ومن بين تلك العناوين: «محمد كل جوهرة اصطفاء» و «عرار... في سورة مريم»، وهما عنوانان مشبعان بفيض من الدلالة.

فمحمد ومريم يحيلان القارئ مباشرة إلى رموز قرآنية وسور تحمل اسميهما، كما أن هذين الاسمين يرتبطان بالبيئة والمكان اللذين تتنفس فيهما الشاعرة. وقد نقلت لفظة جوهرة من مدلولها الواقعي المباشر إلى أفق أوسع، حين أسندتها إلى مريم، فجعلت الاصطفاء وسيطًا بينها وبين الجوهرة، لتؤكد إمكانية أن يكون النقاء اختيارًا وحركة، لا سكونًا. وهو ما يكشف عن رؤية الشاعرة وتحولاتها من الجماد إلى الحياة، ومن الموروث إلى الحداثة. تستهل الشاعرة قصيدتها ببنية سردية تؤكد الحضور الطاغي لعرار في سورة مريم:

مشيت إليك كي آتي إليا
ولما ضعت مني، كنت فيا

وهو ليس مكانًا هامشيًا، بل فضاء فاعل تحاوره وتسائله وتعشقه، وتطرح في ظلاله أسئلتها الوجودية والفلسفية:

أيبكي الموت؟ قلت: بلى
ولولا جلال الله لاعتذر القضاء

هنا تضع الشاعرة الماضي إزاء الحاضر، مستدعية الذكريات المروية على لسان التراث الديني، بما يحمله من أصالة وعبق تاريخي. وتنداح الأسئلة والذكريات عبر التداعي، فتقفز إلى السطح نماذج بشرية تجرّدها الشاعرة من واقعها لتضعها في إطار تجربتها غير النمطية:

تجوب النفس، نبحر في هواها
تقاذفها الغواية والرجاء
بأشرعة لها من كل ظن
مجنحة تطير، ولا سماء

غير أن القارئ لا يلبث أن يستشعر حالة

الإحباط والانهزام التي تحاصر الشاعرة وتنعكس على مدلول النص:

كي نبكيك قد خُلق البكاء
وتذهل كل مرضعة، وترجو
نفوس أن يحل بها الفناء

اللغة هنا تؤدي دورًا رمزيًا فاعلًا، والصور المجازية تموج بظلال قاتمة تعكس الواقع الجهم. فمحمد يركض فوق انكسارات الأعداء، والذات تواجه واقعها بحضور الأنبياء والملائكة، محاولةً أن تجد عزاءها في الماضي

ومفرداته، وفي الكون الذي يتكلّم حكايتها. لكنها سرعان ما تصطدم بواقع محبط يهيمن عليه القهر والتحولات السلبية:

محمد ليس يبلغه رجال
ولا يكون الفسيح، ولا الرجاء
فكل الكون يجري لانتهاء
وخلق محمد اللا انتهاء

تسعى الشاعرة في القصيدتين إلى إيجاد نوع من التداخل بين الشعر والقصة. ففي بعض المواضع تقترب الأبيات من القصة القصيرة بمشاهدها السردية ولغتها المكثفة، وهو ما نلمسه في قصيدة «عرار... في سورة مريم»، التي أهدتها إلى شاعر الأردن الإشكالي عرار:

مشيت إليك كي آتي إليا
ولما ضعت مني، كنت فيا
وما روحي التي تكفي لأحيا
لو أنك لم تكن في الروح حيا

تبدو القصيدة هنا أشبه بومضة أو لقطة خاطفة تقتنص اللحظة وتجسد الحاضر، حيث تحاصر الذات أسئلة الوجود والبحث عن الهوية. وتوثّق الشاعرة تفاصيل صغيرة وكأنها مذكرات يومية:

سقى روح البلاد، وظل يطمي
ويشرب حزنه الطفل النديا
فقومي روح إربد من سباتٍ
وصلّي ركعتين، وقولي حيّا

إنها أزمة الذات والمكان معًا، إذ تستحضر الشاعرة صورًا عتيقة من إربد القديمة في محاولة للانعتاق من واقعها عبر اجترار الذاكرة وخداع النفس. ويسري عبر النص حزن شفيف، يتراوح بين البعد الوجودي والهمّ الجمعي. كثيرًا ما تطل صورة المرأة الحلم، أو صورة محمد ومريم وعرار، كمعادل موضوعي للمعاناة والبحث عن خلاص.

كما يتضح في قولها:

تقاسمنا شتات الأرض، حتى
لأجهل من يكبل لي يديّا
وهنا بعد ما كنا... فمن ذا
يعيد لحضن مريمنا النبيّا؟

يتكئ النص على التناص الديني والتاريخي، مستحضرًا القرآن والقصص المقدس ليغذي التجربة الشعرية بثراء حواري. تقول الشاعرة:

وهم ألقوا بيوسفهم بحبٍّ
وهم يعقوب قد جعلوا عميا
وهم قالوا لمريم جئت أمرًا
وأمهم التي كانت بغيّا

بهذا التوظيف للتناص، تمنح الشاعرة نصها أبعادًا دينية ورؤيوية، وتعمّق تجربتها الذاتية في سياقها القومي والوجودي.

إن قصيدتي «محمد كل جوهرة اصطفاء» و**«عرار... في سورة مريم»** تكشفان عن تجربة شعرية خاصة لصاحبتها، تعبّر فيها عن صوتها الذاتي، وتقدّم خصوصيتها الإبداعية دون أن تذوب في أصوات الآخرين.

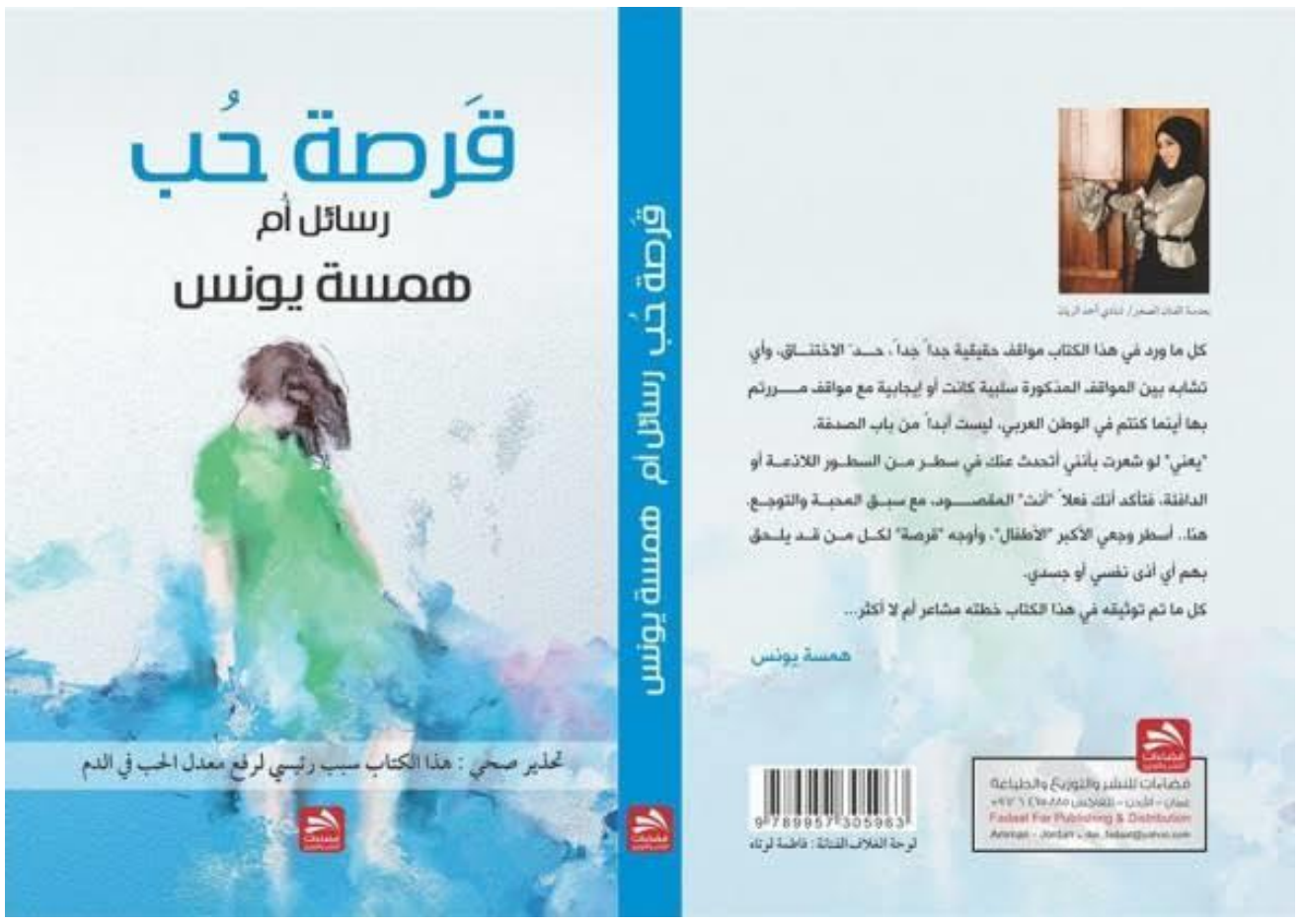

تحريك الشرر من تحت الرماد في رواية (أطياف) للكاتبة والاديبة وفاء داري

د. سرمد فوزي التايه
أكاديمي . كاتب . ناقد . فلسطين

أصرَّت الكاتبة والأديبة المقدسية وفاء داري ان تُقحمنها في (طقوس الانطفاء البطيء) لبطلة روايتها (أطياف) والصادرة عن دار الرعاة للدراسات والنشر في فلسطين من العام 2025 والتي تقع في 214 صفحة من القطع المتوسط.

أطياف لغةً تعني الخيالات أو الأوهام أو الأحلام، ومفرده طيف وهو ما يُرى في النوم أو الخيال كما جاء في معجم المعاني. وهنا، وكأن الكاتبة تُريد منا أن نتحسس مكنونات وخبايا وخفايا روايتها، ونستشعر كُنهها قبل الغوص بها والإبحار بين أمواجها؛ فمن ناحية تُلقي لنا بالاسم وتترك لنا حُريه إعمال الفكر للتَّعرف على المقصود، ومن ناحية ثانية تضعنا أمام صورة الغلاف التي تحدَّثت صمتاً عن الرواية بكل تفصيلاتها وما جاءت به، إلا أنها لم تكتفِ إلى هنا حتى القت الينا بسطرٍ من رسالةٍ مجهولةٍ في اول صفحةٍ من صفحاتها لتقول لنا: ها انا قد وضعتكم على اول الطريق، إن كنتم تهوون هذا النوع من الحكايات، فلتُكملوا طريقكم، وإن كنتم لا ترغبون بمثل تلك الروايات التي تحكي وتُنبئ عن قصص الجحود والخذلان، فلتنسحبوا بهدوء وتتركوا المجال لمن يُريد أن يستقي أكثر في هذا المضمار.

ولأننا ارتضينا أن نُسافر سويَّةً وطواعيةً مع الروائية وفاء داري في رحلتها مع بطلة روايتها أطياف، فلنتحمل إذاً عناء ومشاقّ السفر، ولهيب التَّشويق، وغضبة الرافضين للواقع؛ علَّنا في النهاية نتحصَّل على الشهد من بين لسعات الغربة القاتلة، والصمت المُريب، والعقوق الكاوي على وقع التَّشظي والتَّخلي والخذلان.

دعونا أولاً نغوص بسيمائية الغلاف والذي يُشعر القارئ من الوهلة الأولى بفحوى الرواية، فيكاد يكتفي بما تم استنباطه من معاني ومضامين من تلك الخطوط والألوان التي تتربَّع على صدر الغلاف بكل رصانة وبساطة وهدوء؛ ليظهر لنا صورة لامرأة فلسطينية في عقدها السابع أو الثامن وقد اعتمرت كوفيتها الفلسطينية وأظهرت علامات القوة،

والصلابة، والتَّحدي بنظراتها الثاقبة دون أن تتمكن من إخفاء خيباتها وانكسارها

التي ساهم كل من ملامح عيونها وأخاديد وجهها العميقة من فضحها! غير أنها راحت تستظل بأغصانٍ من شجرة زيتون في الخلفية أملاً منها في أن يُرى بأسها وقوتها بانعكاس أوراق الزيتون خلفها.

لقد تم تأكيد ما تم استشفافه من الرسائل الواضحة والمضامين الجليّة التي جاءت به تلك اللوحة الباسطة وجودها على الغلاف بما كان من الألوان المُتناثرة بين جنباتها؛ فمن ناحية، بدا قطر الدم بلونيه الأحمر والبني واضحاً مُنساباً دون قيودٍ أو حدود، كما ظهر جلياً معالم البُؤس والظُلم والقهر من خلال اللون الأسود أيضاً. أما الفرح المُقتَضَب، فقد بان على أطراف وبين حيثيات الحياة بلونه الأخضر المُتواضع، وفيما يتعلق باللون الرمادي الطاغي المُنفرد بهالته الواضحة حول المرأة المُتربِّعة على عرش الغلاف، فإنما هو إشارة إلى المستقبل الرمادي المُشوَّش وغير واضح الرؤيا والمعالم، وكأن قَدَر الفلسطيني أن يبقى في غمامةٍ، وتيهٍ، ورؤيةٍ مُبهمة لمستقبلٍ لا يدري أين، وكيف، ومتى الخلاص!

للوهلة الأولى، يظن القارئ أنَّ " أطياف" قصة من قصص المقاومة الفلسطينية للمُحتل الإسرائيلي من خلال تجلّي امرأة فلسطينية عنيدة ما فتئت تُقاوم المُحتل وتُجابهه بكل ما أُوتيت من قوةٍ وجبروتٍ كما هو مُعتادٌ عليه من النساء الفلسطينيات الشامخات، الباسقات، الباسلات، واللواتي كثيراً ما وقفن يداً بيد، وزنداً بزند، وذراعاً بذراع مع أبنائهن، وأزواجهن، وإخوانهن الفلسطينيين الفدائيين في تلك المهمة الشريفة العادلة عبر مفاصل العمل الوطني المُقاوم منذ فجر التاريخ المُعاصر حتى يومنا هذا. إلا أنَّ من يغوص بين أروقة الرواية من البداية حتى النهاية، يُدرك أنه قد يكون وقع في فخ السيميائية، وانزاح باتجاهٍ لا يُريده، وإلى مسارٍ ليس هو المقصود بحدِّ ذاته دون حَوْلٍ منه أو إرادة؛ فبينما هو آخذٌ بالسير يخطو خطواته على قارعة الراوية، يكتشف جوانب غير مُتوقعة راحت تُلقي بظلالها العميقة على مُفترقات هذه الرواية ومكنوناتها! وهنا يُدرك أنَّ ليس للاحتلال وحده الذَّنب لما آلت اليه ظروف ويوميات بطلة الرواية، وإنما كان هناك ما هو ومن هو أشدُّ إيلاماً وقسوةً واعتصاراً لحالها وقد تمثَّل في الجحود، والعقوق، والهجران من تلك الأغصان التي تم الاعتناء بها ورعايتها حتى إذا ما اشتدَّ عودها، فاذا بها تنسلخ عن جذعها وجذرها دون رحمةٍ منها أو نظرة امتنان لماء سُقي، وحليب رُوي في فترة الحاجة والنُّمو والتَّبرعُم.

عند ولوجنا الأول للعتبة الأولى للرواية من خلال الفصل الأول (طقوس الانطفاء البطيء)، نرى أنَّ الروائية "داري" كانت مُوفَّقة عندما ألقت بسنارتها لنا لتُخبرنا في صفحة (4) عن وصول رسالةٍ مجهولةِ المصدر لبطلة روايتها أطياف، وهذا ما جعلنا نتشوَّق لمعرفة من يكون صاحب الرسالة، وما قصدُه ومقصده عندما أرسل بتلك الرسالة قوية المضامين والتي استفزَّتها قبل أن تستفزنا نحن القُراء أيضاً.

لقد كانت تلك الرسالة المُرسلة والمُستقبلة عبر الهاتف المحمول قوية بما يكفي لتُرسل إشاراتٍ وصعقاتٍ كهربائيةٍ إلى قلب أطياف لتُذكرها بما لم تكن قد نسيته أو غاب عن بالها وفِكرها أبداً؛ فجاءت كلمات تلك الرسالة البادية في صفحة (5) غامضة المعاني كما غموض مُرسلها لتُؤكد الوجع الذي لم يندثر والألم الذي لم يبرأ، ولتلقي بشذرات أمل وذلك عندما قالت وأخبرت: (لا أحد يعود من الغياب، حتى أطياف النور تحمل ظلاً لم يُولد بعد)، إلى أن وصلتها رسالة جديدة في ذات مساء بدا عادياً استثنائياً في صمته، إلا أنها هذه المرَّة لم تكن مُبهمة، بل كانت تلمع من سطح الشاشة لتقول: (صافي اختار أن يعود، يُريد أن يبدأ من حيث تنتهي الحكايات)، وكأن الغياب

نفسه يطلب الإذن بالعودة. صفحة (180). وهنا، تُحاول أطياف أن تتنبأ بمصدر الرسالة لتُلقي بسؤالها لذاتها: (هل تكون من أحدٍ من أولئك الذين غادروا وصاروا أطيافاً كما يُوحي اسمها؟ أم من الذين وعدوا بالعودة ثم خذلوها بصمتهم؟) صفحة (5). وكأنها تُريد هنا أن تقول لنا: هذا هو محور قصتي وحكايتي؛ الخذلان بالصمت!

السؤال الذي يدور في خلجنا الآن رداً على بطلتنا: هل هناك خذلان بالكلام، وإن كان كذلك، فأيهما أقوى وأشدُّ وقعاً ووجعاً وإيلاماً؟

السؤال هنا برسم الإجابة تركته لنا الكاتبة وفاء لنستطلع بأنفسنا عندما نعبر تضاريس الرواية، حتى إذا ما وصلنا للنهاية، واستطعنا الإجابة عن السؤال، نكون مُتأكّدين ومُتيقّنين وبلا أدنى شك أنَّ للخُذلان وجوهٌ ومظاهر وهيئات مُتعدِّدة، وإنَّ أصعبها وأشدَّها فتكاً هو ذلك الذي يأتي من أقرب المُقرَّبين.

حيثيات الرواية:

تتحدَّث الرواية عن قصَّة أُمٍّ خرجت من رحم النكبة في العام 1948، اقترنت بزوجها الذي خرج هو أيضاً من ذات الرحم وتحديداً من قرية لفتا المُهجَّرة، فكُتب لهما الزواج رغم الاعتراضات العائلية التي كانت وقتئذ. وعندما سار بهما الزمن، وقبل أن يستشهد الزوج بين رحى مدينة القدس، انجبا ثلاثة أطفال (ورد، نجم، وزهرة)، وعندما كبر الأبناء وظنّوا أنهم قد نضجوا، واستوى عودهم، وأصبحوا قادرين الاعتماد على أنفسهم، غدوا مُهاجرين بطموحاتهم إلى بلاد أحلامهم الغريبة بالغُربة المُريبة تاركين أحدهم خلفهم والذي كان هو الآخر مُهاجراً بعقله ونفسه وذاته إلى بلاد ما بعد الغُربة رغم تواجد جسده بالقرب من والدتهم؛ ليكون عقوقه أشدُّ فتكاً من عقوق أخوية؛ وذلك عندما ساومها على بيتها الذي عاشت به بعد أن بنته وبنت طموحاتها وأحلامها به بآهاتها، ودموعها، ودمائها، وعرقها المُتقاطر! فاستولى عليه وعلى ما فيه من ذكرياتٍ كانت جميلة، وتركها في مهبّ الريح لسنواتٍ عديدةٍ تُقاتل وتُجاهد العدو والقريب والبعيد حتى أكل منها الدهر وشرب؛ فتركها عجوزاً هرِمةٍ مُتهدِّمةٍ تتقاذفها الدنيا وتُعاركها الأيام؛ حتى آلت إلى موتٍ يُريحها من كدرها وهمومها وأحزانها، تاركةً لا شيء من إرثها لأبنائها العاقين العاصين والذين أدركوا عند تلك اللحظة أنَّ الزمن إذا سار للأمام لن يعود أبداً! وأنَّ القطار إذا ما قرَّر الرحيل، فلن يتوقَّف إلا في محطته الأخيرة بعد أن يكون قد تشبَّع بالكثير من الذكرى والذكريات عند ولوجه للمحطات المُتتابعة.

ثيمات الرواية:

زخرت الرواية بالعديد من الثيمات التي شكَّلت محورها وهيكلها وعمودها الفقري، ورسمت حدودها وأبعادها ونطاقاتها، وقد تجلَّت تلك المكونات الرئيسية بالآتي:

أولاً: قوة شخصية بطلة الرواية واعتمادها على نفسها، وقدرتها على لملمة جراحاتها وتطبيبها اتكاءً على مهنة الصحافة كمنصة انطلاق لها نحو التَّميُّز والسمو والتَّعالي على الأوجاع الداخلية والخارجية:

وقد بدا ذلك واضحاً في الكثير من المحطات، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صفحتي (6،7) عندما (احتضنت جسدها المُبعثر، تُلملم أعضاءه لتنقله إلى الصالة برجلين مُثقلتين)، فأخذت (تتحايل على جسدها فيُطاوعها)، حتى (صارت نقطة التقاء بين المأساة والمُنجز، أرملةً تُحوِّل الفقد إلى حبر، وأُم تنسج من صحافتها درعاً ضد النسيان)، فهي (لا تزال تُزاول الكتابة الصحفية وهي على مشارف عقدها الثامن). صفحة (7)، لتراها (تكتشف أنَّ قوتها لا تكمن في الشهادات، بل في صمود قلمها أمام الطُّغيان، وجهادها في وجه المجتمع والمُحتل معاً). صفحة (78).

ثانياً: وفائها لزوجها الشهيد (صافي) وذكراه الذي لم

يغادرها لحظةً واحدةً من حياتها:

نرى أنَّ صفحة (13) راحت تفوح بكل المعاني والمشاعر الصادقة في هذه المضمار حتى انزلقت كلماتها صادقةً لتقول لنا: أنها (أرادت أن تكتب صافي كما عرفته: حياً، مُتمرداً، مُناضلاً يُقاوم النسيان حتى في ظلال الموت). فراحت (تخُطُّ مقالاتها في ذكراه كمن يُؤرشف تاريخ ثورةٍ عربية) حتى (صارت ذكرى رحيل صافي عيداً وطنياً في تقويمها الشخصي)، مُدركةً أنه (قد يصير الورق ضريحاً، وكأن الحروف حُرَّاساً لأرواحهما الضائعة).

ثالثاً: روح الثورة والمقاومة لدى أطياف وعائلتها وأصدقائها، والتَّعلُّق بالوطن المسلوب:

وقد ظهرت هذه الروح الثورية من خلال قولها في صفحة (15): (نحن لا نموت، نحن فقط نزرع أسماءنا في تراب الوطن ليُنبت أجيالاً من العِزَّةِ والمُقاومةِ والكرامة). وأما الحنين للوطن المسلوب فقد تجلّى بالقول: (روى صافي عن بيت والديه الأول في قرية لفتا الذي تحوَّل إلى كومة حجارةٍ صامتةٍ، وعن صور الغائبين التي تحرس يقظة الذاكرة). صفحة (34). فبالنسبة لصافي فقد (ظلَّت القرى المُهجَّرة تسكنه كأبجدية أولى). صفحة (63)، كما أنه (لم يكن بيت والد أطياف في الشيخ جراح مُجرَّد عنوان على خارطة مدينة تُمزقها الجدران والسياسات، بل كان جزءاً من معركة هوية؛ اختياراً واعياً لمواجهة التَّهجير بالصمود، حملت حجارة البيت ذاكرة وطن، لا صدى أُسرة فقط). صفحة (46).

رابعاً: حُبّ القدس والتَّعلُّق بها:

يبدو لنا من القراءة الواعية المُتعمِّقة لما جاءت به الرواية أنَّ كاتبتها المقدسية وفاء داري وأبطال روايتها: أطياف، صافي، مي، سيف كلهم قد تعلَّقوا بالقدس وسماءها، وترابها، وأحجارها، وأشجارها، وتاريخها، وجغرافيتها كما هي تعلَّقت ذاتها حتى ذابت في وجدانها ووجدانهم وأصبحت جزء لا يتجزأ من تركيبة أنسجتهم وخلاياهم القلبية والعقلية! وقد تم مُعاينة ذلك في أكثر من موقع وأكثر من مكان؛ فرأينا ذلك واضحاً جلياً في صفحة (10) بالقول: (في شرقي القدس، اختارت أطياف أن تبني بيتاً لا جدراناً فحسب، بل وطناً مُصغَّراً لأولادها). كما ظهر أيضا في صفحة (112) حين ظنَّت أطياف (أن صافي يهمس في ذاكرة الزمان أن تقبَّلي الغياب كما تتقبَّل القدس غروبها، وهي تعرف أن الشمس ستعود). أما صديقتها مي، فكانت (تشعر أنَّ القدس تتبعها كظلٍّ وفيّ، كأن بينهما عقد غير مكتوب). صفحة (39)، فـ (كلماتها عن القدس لم تكن تأتيها من دروس التاريخ، بل من أزقة تعرفها قدماً قدماً، ومن مناديل بكت بها أُمهات الشهداء). صفحة (43)، فهي كما قالت لها أُمها في صفحة (40): (القدس ليست جداراً ولا هوية فقط، القدس أُمُّك الثانية). أما سيف الذي شبَّه محبوبته زهرة بالقدس فبدا (كأنه يحتضن المدينة بأكملها ليقول: أنا أستحقها)، (والقدس لم تعترض، بل كانت ترمق العروسين من فوق، تُبارك لهما بشرط أن لا ينسيا أنَّ تحت كل حجرٍ حنين).

خامساً: جحود الأبناء وعقوقهم وغربتهم في ظل خوف أُمهم عليهم واحتضانها لهم:

تم معاينة الجحود القاسي لأطياف من خلال قولها في صفحة (90) عندما كان (ورد باكورة أمومتها، بِكرها الذي غمرته بحُبٍّ مُفرط خوفاً عليه حتى كاد أن يختنق، ونجم الحُلم المُؤجل الذي حملت له أملاً أن يُكمل رسالتها ورسالة والده، وزهرة، زهرة البيت التي أورقت في ظلّ جراح أمها، فكانت شعاعاً بين الرُّكام)، فعادت وأكَّدت هذا الاعتناء بالقول في صفحة (100): (زهرة حصلت على كل ما تمنته وأخويها ورد ونجم من دلالٍ

وتعليمٍ ومحبَّة). ورغم كل هذا، إلا أنها كانت تلاحظ هذا الشعور – العقوق- يتسلل إلى أعماقها، تُبصره جيداً لكنها تُدير ظهرها له وقلبها عنه متظاهرةً بالإنكار؛ فلطالما (أوهمت نفسها أنَّ ما تشعر به سراب). صفحة (122)، وهنا نرى كيف تحقَّقت نبوءتها التي لا تُريد؛ فـ (ابنتها الوحيدة زهرة اختارت الزواج والسفر إلى النمسا مع زوجها وأولادها، ذلك البلد البارد الذي أثَّر على دمها حتى صار تواصلها مع أمها بنفس البرودة)، (كذلك ابنها نجم الذي سبق اخته وسافر بعد الثانوية العامة إلى الولايات المتحدة الامريكية، فتزوَّج من أمريكية واستقرَّ هناك، وسار على نهج اخته في التواصل البارد المُتباعد)، (أما ورد، فخذلها بطريقته الخاصة. فكلما تذكَّرته اعتصر قلبها وتقيأت ذكرى تضحياتها، لتشمئز من روائح جحود الأبناء) صفحة (8). وهنا، ورغم كل ما اعتراها، إلا أنها كانت تتشبث بخيطٍ أوهن من خيوط بيت العنكبوت وذلك عندما قالت لنفسها مُتسائلة في صفحة (177): (كيف لرجُلٍ – نجم- يحمل قضية شعب، أن ينسى قضيته الأولى... أُمه؟) لكنها في النهاية قد تجرَّعت كأس المرار وعاشته وعايشته عن قُرب، فراحت تلوم نفسها وتقول:(هل كان الوفاء جُرمي؟ وهل يكون الهُجران عقوبة من تُخلص أكثر من اللازم؟). صفحة (125)، ثم قالت في صفحة (203): (أُدوِّن ما يُشبه بيتاً أخيراً لامرأةٍ قضت عُمرها تزرع

المعنى وتُؤمن أنَّ الصوت لا يموت إذا حمل الحقيقة)، ثم أردفت: (هذه كلماتي الأخيرة، لا لأُقسِّم ما أملك، بل لأُثبت ما أؤمن به). وختاماً قالت: (ما أصعب أن تكتب أُم غيابها). صفحة (213)، واستكملت في صفحة (214): (أردتُ أن أكون وطنكم، لكن الوطن طُرد من بابه فمات غريباً)، حتى رأيناها في صفحة (198) قد (أغمضت عينيها للحظةٍ طويلةٍ، كأنها تُراجع في داخلها كل الرسائل التي لم تُكتب، وكل الأجوبة التي لم تصل. لم تكن تنام، بل كانت تغفو بين سطرين: سطرٍ من ذاكرة، وسطرٍ من الحنين).

جماليات اللغة في معزوفة وفاء داري:

استطاعت وفاء داري أن تتحرر من كل القيود التي تُحيط بكلمات روايتها حتى راحت تعزف بخفَّةٍ ورشاقة على آلتها اللغوية بسمفونيةٍ تجلَّت فيها المشاعر الفيَّاضة والفكر المُنضبط العارف طريقه لإيصال القارئ إلى مرفأه بخفَّةٍ، وأمانٍ، ومُتعة في آن واحد بعد أن يكون قد تشبَّع من مُحتوى الرواية التي تغلغلت بين خلجاته حتى راح يعيشها على أرض الواقع وكأنه واحد من أبطالها. وكل هذا بسبب القدرة العالية على إجادة استخدام مفردات اللغة من كاتبتها وربطها مع بعضها البعض بصورةٍ جميلةٍ وأسلوبٍ لغويٍ راقٍ وكأنها تقوم بخلق حِكَم ومواعظ قد يتم تداولها في المستقبل على ألسن القارئين لهذا العمل الجميل.

لا يتسع المقام لذكر كل ما جاء من جمال التعبير اللغوي الذي أودعته داري في روايتها، فنكتفي هنا برصد وسرد بعض تلك المعزوفات الناضجة كجزء يُعبِّر عن الكُل، فنذكر بعضها باقتضاب ونقول: لقد أبهرنا ما رصدناه عندما قالت: (ثمَّة لُغات لا تُحكى، بل تُلمس بين نبرات الصمت) وأيضاً: (جلس قربها مُتردداً كعاشقٍ يقترب من حافة قصيدة)، (لا أحد ينتصر في معارك الوحدة)، (الرحيل ليس خيانة، إنما خلاص مُتأخر). وعن الجدران: (بعض الجدران أقسى من النفي)، وأيضاً (البيت الذي نشأ فيه، قرر أن يتحول من جدارٍ إلى فكرة).. وفي الصمت قالت: (صمتٌ طويل ظل يتغذى على الغياب)، فـ (كان في صمته شراسة، وفي قسوته عناد لا يعرف الرحمة). كما اطلَّ علينا ما أباحت به الكاتبة من خلاصة مشاعرها بالقول: (بعض النساء يُولدن ليكُنَّ أوطاناً، ولا أحد يسكُنهن بالكامل)، وفي قولها أيضًا: (ذلك الدفتر الذي لا يُطوى إلا بعد أن تجفّ المودة)، وفي قول آخر أيضاً: (إنك إن قرّرت أن تعود، لن تُقابل بالعتب... بل بظل زيتونةٍ تُحبَّك حتى وأنت تقطع جذورها)، كذلك ورد قولها: (انزلقت يدها عن ذراع المقعد كزهرةٍ أفرطت في الإزهار)، وأخيراً وليس آخراً: (الختم الأحمر يعلو الوصية كنزفٍ وثَّقه الزمن). إضافة إلى الكثير الكثير من تلك الجماليات التي يصعب إدراجها في هذا المقال.

إشكاليات الرواية:

ولأن كل جميلٍ لا يخلو من الثغرات، ولأن ما يُكتب ليس بقرآن، وأنَّ الكاتبة انسان يُصيب ويُخطأ، ولأن المُتبحر قد يكون له نظرة مختلفة عن نظرة الكاتب والروائي، فقد لاح أمام أعيننا بعض الإشكاليات التي لم تُؤثر في جوهر الرواية، ولكنها قد تكون أضعفتها في بعض الأحيان، ولكن دون انتقاص من كنهها؛ فنرصد هنا بعض تلك الملاحظات كالآتي:

تكرار للكثير من الالفاظ والمصطلحات بين الفينة والأخرى:

إنَّ المُستطلع المُتفحِّص لجزيئيات الرواية يرى أنَّ الروائية (داري) قد أكثرت من استخدام لبعض الكلمات والمصطلحات بصورةٍ مُبالغ بها قد يكون دون وعي منها ودون سبق إصرار وتعمُّد وإنما بسبب ما يفيض به عقلها الباطن بهذا الشأن؛ فنرى أنها قد قامت بتكرار كلمة ياسمين خمس مرات وخاصة الياسمين الحزين على وجه التحديد.

أما مصطلح الضوء الخافت والظل الخافت، فقد تكرر ست مرات

والمرآة أيضا كان لها نصيبها الوافر من ذلك التكرار

وفيما يتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف، فقد اشبعتها الكاتبة بصورةٍ مُبالغ بها، وليت الأمر بقي مرهوناً بالحديث عن العادات والتقاليد بإيجابياتها وسلبياتها، إنما للأسف كان محور الحديث عن السلبيات فقط دون الإيجابيات، وترى الكاتبة من وجهة نظرها ما قالت بطلة روايتها في صفحة (69): (أنا لا أحتقر تقاليدنا، لكني أمقت ما يعمي البصيرة) وهذا بسبب ما كان من (المراوغة بين تقاليد رثَّة وتطلعات جيل جديد). صفحة (58)، فراحت تتبنى الحكمة وتقول في صفحة (134): (كعادة الشيوخ في حضرة عناد الشباب، آثر الصمت والعجز)، لتنتصر لرؤيتها بهذا السياق وتقول في صفحة (71): (ذلك الألم الذي لم تهزمه الأعراف). وهنا تكون وصيتها في النهاية بالقول لابنتها وزهرتها: (إن كبرتِ فلتكبري حُرَّة، لا رهينة لمخالب المعتقدات، ولا أسيرة لمجتمع يربط رضا الله برضا الأعراف الرثة). صفحة (152). وفي هذه الأجواء، نرى التغيير الجلي في فِكر أطياف التي كانت تحارب التقاليد لتعود وتمارس ما كان يُمارس عليها في أوج شبابها؛ فيظهر لنا أن كيف هاتَفَ نجم أُمه ليُخبرها بنيَّته الزواج من سارة، زميلته في الجامعة، فكان وقع الخبر عليها كحجرٍ سقط في ماءٍ راكد) صفحة (96)، ليكون المُبرر لها كما جاء على لسان الراوية: (أطياف لم تكن ضد الحداثة، لكنها عرفت تماماً أي هويةٍ تسقط حين تُغسل بماء العولمة). صفحة (96).

النظرة الانثوية المقهورة في أجواء النظرة الذكورية:

وهنا نتحسَّس إسقاطات النظرة الأنثوية المُضطهدة التي أبرزتها الكاتبة وفاء داري بإرادة منها أو دون إرادة، فنراها أنها قد بالغت في طرح هذا المفهوم على طول صفحات الرواية وعرضها، فتبيَّن لنا ما جاءت به حينما قالت في صفحة (53): (عزمت العائلة منذ نعومة أظافرها على تعليمها، ومُجابهة أقاويل القرية التي لم تر في تعليم المرأة إلا ترفاً غير ضروري)، وما جاء في صفحة (69): (إنَّ الرجولة ليست صوت الجموع، بل ضمير لا يحتاج تصفيقاً). ثم قالت على لسان بطلتها في صفحة (70): (كان الحلم نافذة، لكن المدينة أغلقتها.. لا لشيء سوى أن اسمي انثى). فقد بالغت بالتعبير – رغم أنَّ ذلك واقعي في كثير من الأحيان-، فجاء بقولها: (خانته يده فامتدت إلى أخته في لحظة فقد فيها رجولته الحقيقية، عندها وقفت أطياف كلبوءة، لن تسمح بمشهد الذكورة العمياء داخل بيتها)، وما جاء بصفحة (140): (شعرت أنها تُعاقب لأنها امرأة فلسطينية وعربية تقف تحت ظلمات ثلاث: المجتمع، الجندر، والاحتلال.

في الختام، لقد أطلَّت علينا الروائية وفاء داري بهذه الرواية من شُرفات قلبها، فكتبتها بكل مصداقية وعاطفة مُخلصة حقَّة حتى راحت كلماتها تلامس شغاف القلب بعد أن دخلته مُرحبٌ بها بكل صدرٍ رحب، فشخَّصت الواقع كما هو دون مواراة، أو مواربة، أو إخفاءٍ، أو إقصاءٍ، أو تُقية، أو تدليس. وهذا من طباع الكاتب والروائي الذي يحمل هَمَّ قضيته وشعبه، وفِكره، وألمه، وأمله.

محمود شامي
قاص . كاتب . ناقد . جيبوتي

« صنعائي » رواية للأديبة اليمنية نادية الكوكباني
انطباع قارئ للرواية، وليست قراءة نقدية

عنوان الرواية «صنعائي» جعلني أتوقف قليلًا أتأمل معناه، وقلت في نفسي: هل هو صنعاني أم صنعائي؟ وماذا تقصد الكاتبة بقولها صنعائي؟!

العنوان يحمل دلالات عميقة؛ إذ يتجاوز حدود المكان ليغدو رمزًا للذاكرة والانتماء والهوية.

بطلة الرواية، صبحية، فتاة يمنية عاشت مع أسرتها في القاهرة ثلاثين عامًا. لم تكن زياراتها لصنعاء متكررة، بل زارتها لأول مرة بعد المرحلة الثانوية. وفي كل زيارة لها، كانت تعود بشيء ما يخص صنعاء لتضعه في ركن خاص من غرفتها أطلقت عليه اسم «صنعائي». وكأنها تبني عالمًا مصغرًا لمدينتها في قلب الغربة.

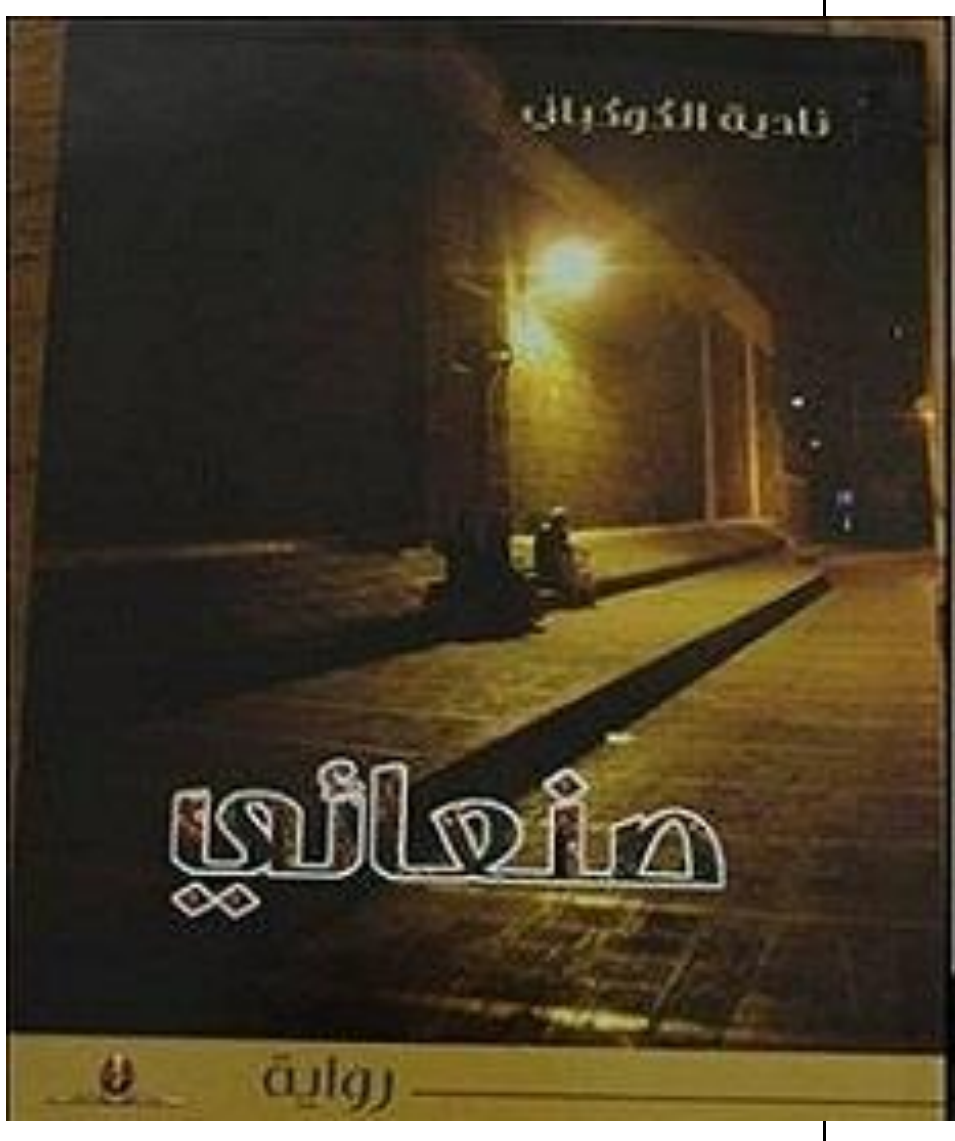

الرواية في جوهرها حكاية صبحية، ابنة مناضل يمني شارك في الدفاع عن الثورة ومكتسباتها، وكان أحد أبطال ملحمة السبعين يومًا الشهيرة بين الثوريين والملكيين عام 1967، أي بعد خمس سنوات من انتصار الثورة اليمنية على أسرة الإمام حميد الدين. غير أنّ الثورة التي انتصرت على خصومها سرعان ما بدأت تلتهم أبناءها؛ فتصدّر المشهد منافقون ومتملقون، بينما زُجّ بالشرفاء والمخلصين في السجون أو غُيّبوا بالاغتيال. وكان والد صبحية من بينهم، إذ قضى أحد عشر شهرًا خلف القضبان. وبعد خروجه اختار العيش مع أسرته في القاهرة، حيث ظلّ حتى وافته المنية في المنفى مطلع الألفية الثالثة. وهناك تبدأ رحلة العودة بصحبة صبحية وأمها إلى صنعاء، لتبدأ معها الحكاية الروائية.

الرواية تعود بالقارئ إلى الماضي، وتغوص في أحداث الستينيات والسبعينيات من خلال تبادل السرد بين صبحية وعدد من الشخصيات:

حميد: شريكها في الحكاية، وابن أحد شهداء تلك الحقبة.

غمدان: ابن مناضل وثائر جسور دافع عن صنعاء ببسالة ضد الملكيين، قبل أن تغدر به الثورة ذاتها التي كرّس حياته لها، فيُغتال ظلمًا.

حورية: التي تمثل ذاكرة صنعاء الحيّة.

وأخيرًا، صوت والد صبحية الذي يطلّ عبر رسالة تركها لها لتُسلَّم إليها في لحظة فارقة من عمرها، ربما عند بلوغها الأربعين.

في «صنعائي» لا نجد السرد السياسي فحسب، بل تتناثر بين صفحاتها لوحات من الفنون التشكيلية والعمارة والسينما.

ففي المشهد الذي يُلقى فيه القبض على والد صبحية، يحدث ذلك بينما كان يشاهد فيلم زوربا في سينما حَدا. كما تحضر ملامح الطرب اليمني عبر أغاني الأنسي وكلمات مطهر الإرياني، ورائحة المطر والبن الحبشي الذي كانت تحمصه مسرة ـــ الجدة الحبشية لصبحية ـــ على طريقتها، إلى جانب روائح القاهرة والنيل، وحواري صنعاء القديمة، والحمامات التركية، وحكايات التراث والموروث الشعبي، وسوق الجنابي وعلاقته باليهود. إنّها رواية تجمع السياسة بالذاكرة الشعبية، وتوثّق تفاصيل الحياة اليمنية بنكهتها الأصيلة.

في نهاية الرواية، تحبّ صبحية حميد الذي كان متزوجًا وله أولاد، وله أيضًا عشيقة هي حورية.

ولم يتضح موقع صبحية في حياة رجل غامض لم يترك بابًا ولا نافذة لامرأة ثالثة؛ فهو لا يريد زوجة ولا عاشقة غير زوجته وعشيقته حورية.

النهاية كانت مدهشة، إذ قبلت صبحية هدية من حميد وأخرى من غمدان؛ وكانت هديتهما صورتين تجمع والدها مع والديهما ورفقاء النضال. وقد قبلت صبحية الهدية بعد أن قبلا شرطها بحرية اختيار مكان وضع الصور الثلاث.

تحية تقدير وإكبار للأديبة اليمنية نادية الكوكباني على هذا العمل الإبداعي الخلّاق. والشكر موصول لمكتبة نون في جيبوتي التي أهدتني هذه الرواية الرائعة.

إبراهيم حسين دربات
قاص . كاتب . ناقد . السودان

اللا مبالاة في مجموعة " آنستُ نورًا " القصصية للقاص السوداني: حسين محمد خاطر

قراءة تحليلية

مقطع من المجموعة (ص/12)

"أصبح كل شيء مالحًا في غرة من الزمن، أصبح داميًا مبعوثًا في جراحات الحزن، قذفه القدر بطريقة مؤلمة في غياهب الوجع غير المحتمل، استجمع قواه الغائرة، وتراجع بضع خطوات إلى الوراء، وتراجع بضع خطوات أخرى وأخرى، خرج من منزلها متطأطئ الرأس، حزن عظيم يعتريه، اندلق صوب منزلهم، يسابق ريح الحزن والخيبة، مؤلم جدًا فكرة أن ما كانت لك لم تعد لك وأنت لا تـدري، غير وجهته إلى طرف القرية، جلس على التل وأشعل سيجارته وبدأ يسأل نفسه: كيف حدث هذا..؟ ومتى..؟ ولماذا..؟"

تصفحت هذا العمل العظيم، سردًا ولغةً ومضمونًا، للقاص حسين محمد خاطر، فوجدتني لا أقرأ نصًا فنيًا فحسب، بل أسافر بين طبقات من المعنى، وأتأمل وجع الإنسان في صور شتى، بأسلوب رمزي ينهل من الفلسفة أكثر مما ينهل من الحكاية.

في كل قصة من هذا العمل، ثمة عقل نير يُمارس فعل الكتابة لا بوصفه ترفًا أدبيًا، بل بوصفه [مقاومة ذهنية ضد التبلد الوجداني] وضد السائد من الخطابات التي تروض الإنسان وتجعله جزءًا من جماعة لا تسائل ذاتها.

ليست هذه القراءة من باب الإطراء، وإنما من باب الاعتراف بأن ما كُتب هنا لا يُقرأ مرة واحدة؛ ولذلك عدت إليه، لا لأكتشفه، بل لأُعيد اكتشاف ذاتي داخله. القصص التي كتبها

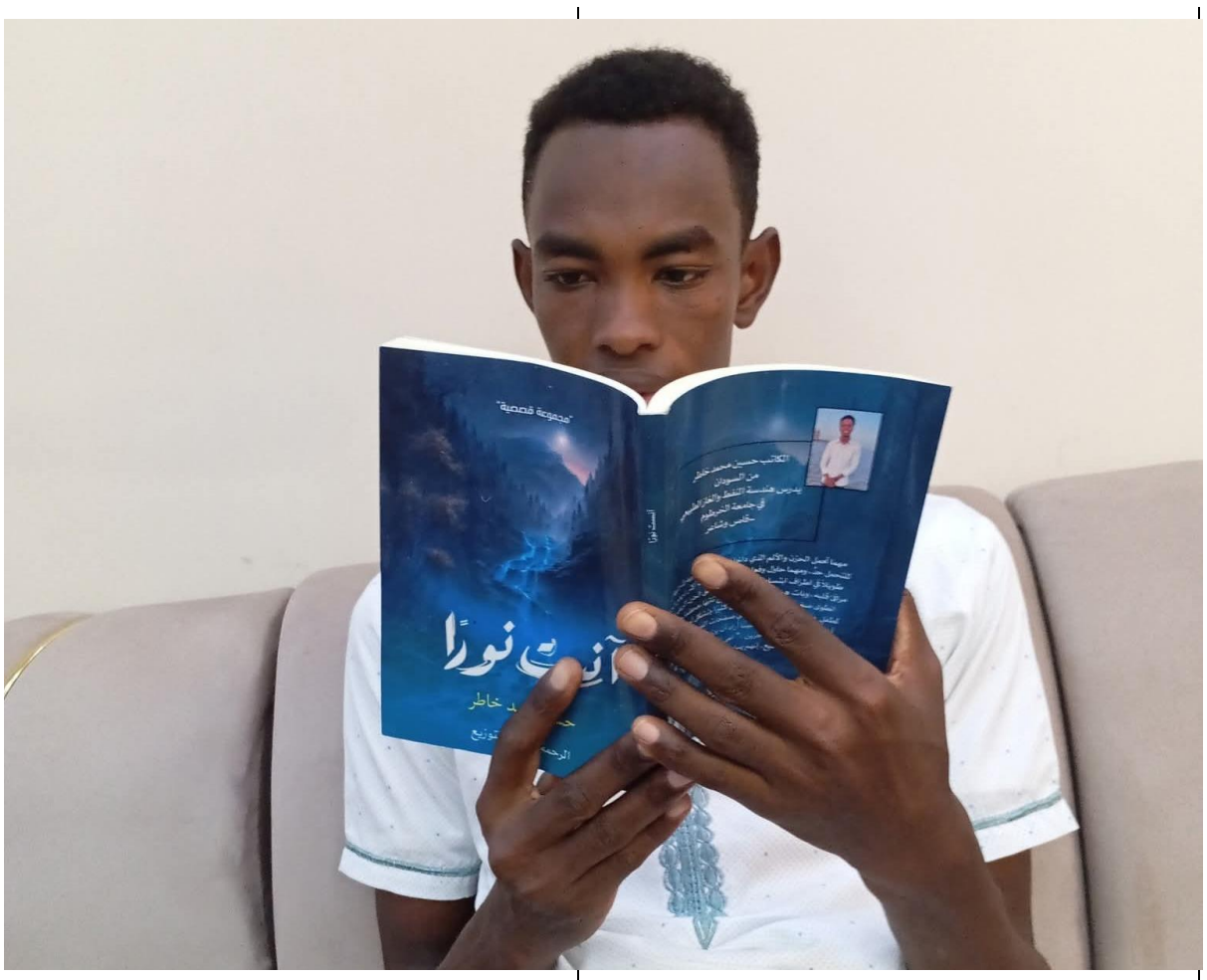

خاطر تنتمي إلى مدرسة [اللامبالاة الواعية]، تلك الحالة التي يكون فيها البطل ساكنًا خارجيًا، لكنه يشتعل في الداخل بأسئلة كبرى عن الوطن، والهوية، والعزلة، والزمن.

تبدو اللامبالاة في ظاهرها ضعفًا أو انسحابًا، لكن في هذه المجموعة تتجلى كنوع من الحكمة القاسية، كصرخة مكتومة في وجه واقع منهك ومهزوم. في كل قصة، أنت لا تتابع حكاية، بل تعيش موقفًا

فلسفيًا، مغطى بلغة شعرية مكثفة، تُشبه أحيانًا المناجاة، وأحيانًا التأمل، وأحيانًا أخرى الصمت العميق الذي يقول أكثر مما يقال.

في مجموعة [آنستُ نورًا]، لا نكون أمام نصوص عابرة تنتمي فقط إلى القصة القصيرة أو السرد، بل أمام عمل أدبي يحمل في طياته روحًا فكرية عالية ونَفَسًا تأمليًا يجعل من كل قصة يُفتح على تساؤلات عن الحياة والموت، الوطن والمنفى، الذات والآخر.

خاطر لا يقدّم أجوبة جاهزة، بل يثير القارئ ليعيد التفكير في أبسط المفاهيم، ويضعه أمام مرآة من اللغة الصافية والحس الوجداني العميق. [آنستُ نورًا] ليست مجرد عنوان، بل دلالة رمزية على لحظة الوعي، لحظة الانتباه إلى النور الداخلي رغم عبر شخصياته التي تبدو أحيانًا وكأنها منسلخة عن محيطها، لكنها في الحقيقة تغوص فيه حتى الأعماق.

اللامبالاة هنا ليست سكونًا، بل صرخة صامتة ضد عالم متشظٍ، فقدَ فيه الإنسان قدرته على التفاعل مع الألم لكثرته، أو مع الفرح لندرته. يظهر هذا بوضوح في بعض القصص التي يمر فيها الأبطال على الأحداث

مشروعًا فلسفيًا مصغرًا. الأديب حسين محمد خاطر لا يكتب لمجرد الحكي، بل يعيد تشكيل الواقع بأدوات الجمال والدهشة، ليكشف عن النور وسط عتمة الأحداث، وعن الأمل في عمق التمزق الإنساني.

الإبداع في هذه المجموعة يتجلّى في قدرة الكاتب على تحويل التفاصيل اليومية العادية إلى مواقف وجودية عميقة، تتقاطع فيها الذكريات مع الأسئلة، والمشاعر مع التأمل، والواقع مع المتخيل. أما التميز الفكري، فيكمن في أن كل نص الظلال المحيطة.

إنها مجموعة تستحق الوقوف عندها كثيرًا، لأنها تحمل ما هو أبعد من التسلية الأدبية: إنها تجربة فكرية وشعورية تُنضج الوعي وتُنعش الروح.

في مجموعة [آنستُ نورًا]، تتجلى اللامبالاة كحالة وجودية، لا بوصفها ضعفًا إنسانيًا فحسب، بل كآلية دفاعية تجاه واقع مليء بالخذلان والتناقضات. يُجيد حسين محمد خاطر الإمساك بخيوط هذه الحالة، ويمنحها بعدًا فلسفيًا الكبرى—موت، فقد، هجر، حرب—كأنهم يمرّون على ظلال، لا لبرود في المشاعر، بل لأن الإرهاق الوجودي جعلهم في منطقة رمادية، تتأرجح بين الحنين والخذلان.

خاطر لا يُدين هذه الحالة، بل يعرضها ويتركها للقارئ كي يعيد مساءلتها:

هل هي لا مبالاة حقًا..؟ أم هي شكل آخر من التكيّف مع واقع لا يُطاق..؟

إن هذا الطرح يضع النصوص في دائرة الأدب الإنساني

العميق، ويكشف عن وعي الكاتب بديناميكية النفس البشرية حين تُقهر أو تُخذل أو تُربكها الأسئلة الوجودية.

في [آنستُ نورًا]، تتحول اللامبالاة إلى مرايا تعكس هشاشتنا، ووسيلة سردية فلسفية تعيدنا إلى سؤال محوري:

ما الذي يجعلنا نكترث..؟ وما الذي يجعلنا ننسحب بصمت..؟

اللغة التي يستخدمها الأديب حسين محمد خاطر في مجموعته [آنستُ نورًا] هي لغة رمزية كثيفة، تُبحر بالقارئ بعيدًا عن السرد الواقعي المباشر إلى فضاءات من التأويل والتعمق في المعنى.

في المقطع الذي يقول فيه:

"لا تبالي عزيزتي اللغة يفهمها الكل حتى الصمم، فقط تعالي إليّ كسحابة ثقيلة بداخلها أنسام باردة، وآتي إليك أنا متسربلًا بأسوار الشوق لنتحد الاثنان ونفتت صخور الرغبة ونسكر بماءِ عشقنا ونمنح الأرض المجعدة بالجفاف سحابة تسقيها"

نجد أن خاطر يوظف الرمزية على مستويات عدة:

1. **الشخصنة واللغة:** يجعل من "اللغة" كائنًا حيًا، أنثى مخاطبة، قادرة على الإحساس والمجيء واللقاء، وهذا يفتح أفقًا فلسفيًا عن العلاقة بين الكاتب واللغة كعشيقة/رفيقة/منقذة.

2. **الطبيعة والعاطفة:** استعارات كـ"سحابة ثقيلة"، "أنسام باردة"، "صخور الرغبة"، "ماء العشق"، "الأرض المجعدة" تحمل دلالات مزدوجة؛ فهي تعبّر عن حالة نفسية مشبعة بالرغبة والحنين، لكنها أيضًا تترجم صراعًا داخليًا بين الجفاف (الفراغ) والخصب (الإبداع/الحب).

3. **الاتحاد والتحول:** الدعوة إلى الاتحاد بين الكاتب واللغة ليست فقط اتحادًا فنيًا، بل فلسفة كاملة عن انصهار الذات بالمطلق، وتحقيق الخلق من خلال العشق والمعنى.

هذه اللغة الرمزية تُشكل هوية أدبية خاصة لخاطر، حيث تتجاوز الكلمات حدودها المباشرة لتصبح إشارات، طقوسًا، همسات ميتافيزيقية، تسائل القارئ وتستفز خياله، مما يجعل النصوص ذات طابع تأملي بامتياز.

اقتباسات من المجموعة

"الكرامة أغلى ما نملكها، والحب أعظم شيء نبحث عنه."

"أنتشلك من جحيم هذه الحياة وأخذك إلى جنات الحب المزدهرة بورود الصدق، واغوص معكِ في بحار من السعادة السرمدية، وأخذك بيدك وانتشلك من متاهات الخذلان واللاصدق إلى المشاعر الصادقة."

"إذا كنت قادرًا على انتشالي من جحيم الحياة ومتاهات والخذلان، أتساءل وفي ذات الوقت يساورني الشك: لماذا لم تنتشل نفسك بعد..؟"

"انقشعت تلك الغيوم المرصوصة في كبد السماء على مهلٍ، لاحت الشمس من بين السحب، تألقت الأعشاش بالندى، نعمت الأرض بطرواة الخريف، رذاذات المطر الناعمة باتت في مشانق الرياح العابقة بالنسائم الباردة، تلألأت الصدف متناثرة على شاطئ البحر كأنها درر مؤطرة بإطارٍ من الشمس."

"لا تبالي عزيزتي، اللغة يفهمها الكل حتى الصمم، فقط تعالي إليّ كسحابة ثقيلة بداخلها أنسام باردة، وآتي إليك أنا متسربلًا بأسوار الشوق لنتحد الاثنان ونفتت صخور الرغبة ونسكر بماءِ عشقنا ونمنح الأرض المجعدة بالجفاف سحابة تسقيها."

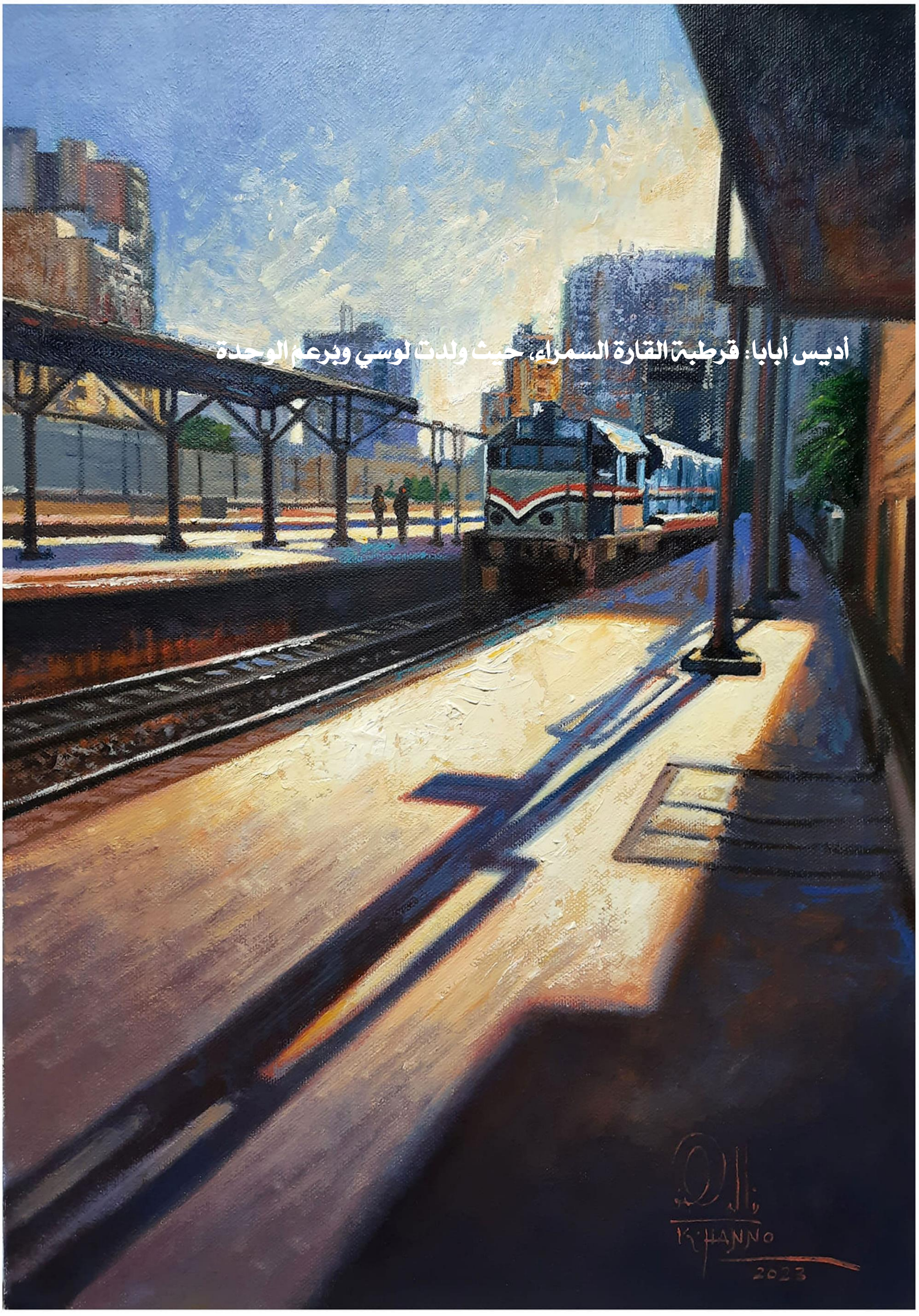

Sidi Gaber train station , Alex , By Khaled Hanno oil on canvas 35 x 50 2023

اللوحة للفنان التشكيلي المصري د. خالد هنو

أديس أبابا: قرطبة القارة السمراء، حيث ولدت لوسي وبُرعمُ الوحدة

مُطالعة في قلب "الزهرة الجديدة"

أديس أبابا، التي يعني اسمها بالأمهرية "الزهرة الجديدة"، ليست مجرد عاصمة لجمهورية إثيوبيا، بل هي ظاهرة حضرية وتاريخية فريدة. تأسست المدينة على يد الإمبراطور منليك الثاني وزوجته الإمبراطورة تايتو بتول عام 1886. هذا الاختيار لم يكن صدفة، فقد رأت الإمبراطورة في الموقع الجديد، على ارتفاع يزيد عن 2300 متر، غنىً في الماء وجمالاً في الأزهار (التي ألهمت اسم المدينة)، فقررت تحويل عاصمة الإمبراطورية المتنقلة إلى مقر دائم. أدى قرار الإمبراطورية بزراعة أشجار الأوكالبتوس (الكافور) سريعة النمو إلى ضمان بقاء المدينة وتزويدها بالخشب والموارد، مما غيّر مشهدها إلى غابة حضرية معتدلة المناخ، وهو ما يذكر بـ حدائق الأندلس وخصوبتها.

مكانة لا تُضاهى: مهد البشرية ومركز السياسة

يكمن تشبيه أديس أبابا بـ "قرطبة" أو "الأندلس" الإفريقية في دورها الثقافي والسياسي الجامع. فقد صعدت إثيوبيا، بفضل استقلالها الذي لم يُقهر (خاصة بعد الانتصار في معركة عدوة)، لتصبح منارة إفريقيا ورمزاً للتحرر.

* **المركز السياسي:** في عام 1963، أُختيرت أديس أبابا لتكون المقر الرئيس لـ منظمة الوحدة الإفريقية، ومن بعدها الاتحاد الإفريقي. هذا الدور منحها لقب "العاصمة الدبلوماسية لإفريقيا"، وجعلها نقطة التقاء للقادة والمفكرين والدبلوماسيين من جميع أنحاء القارة والعالم. هي مدينة تُصنع فيها القرارات وتُعقد فيها المؤتمرات، وتُعكس فيها طموحات القارة بأسرها نحو الوحدة والتنمية.

* **مهد التاريخ البشري:** المدينة لا تحمل فقط تاريخ إثيوبيا، بل تاريخ البشرية جمعاء. ففي المتحف الوطني الإثيوبي، يقف الزائر شاهداً على نموذج الهيكل العظمي لـ "لوسي" (دِنكنِش)، وهي الأنثى التي عاشت قبل 3.2 مليون سنة. إن هذا الاكتشاف يربط أديس أبابا مباشرة بـ أصل الجنس البشري، مما يمنحها عمقاً لا مثيل له.

جذور مشتركة: الحبشة واليمن.. تمازج عبر "باب المندب"

ما يمنح أديس أبابا بعدها التاريخي والإنساني الأعمق هو الترابط الوثيق والقديم بين الحبشة وشبه الجزيرة العربية، وتحديداً اليمن. ليس هذا الترابط مجرد علاقة جوار عابرة، بل هو تمازج حضاري وجيني يعود لآلاف السنين:

* **الموجات السامية القديمة:** تشير الدراسات التاريخية واللغوية إلى أن اللغات السامية الإثيوبية (مثل الأمهرية والتجرينية) تنبع من لغات سامية جنوبية قديمة عبرت مضيق باب المندب من جنوب الجزيرة العربية (اليمن حالياً) إلى منطقة القرن الإفريقي، حاملة معها أنظمة كتابة متطورة وحضارات قوية مثل مملكة سبأ التي كان لها امتداد على جانبي البحر الأحمر.

* **التبادل والتأثير المتبادل:** شهدت المنطقة تبادلاً ثقافياً ودينياً مكثفاً. فالحبشة حكمت أجزاء من اليمن في فترات تاريخية (كفترة الأحباش وغزوهم لليمن قبل الإسلام)، وفي المقابل، أثرت الحضارات اليمنية القديمة بشكل عميق في نشأة الممالك الإثيوبية الأولى مثل أكسوم (شمال إثيوبيا)، حيث ظهرت الكتابة المسندية في أكسوم.

* **العلاقات الروحية:** لليمن مكانة خاصة في الوعي الإثيوبي، حيث يُعتقد أن جزءاً من قصة ملكة سبأ (بلقيس) وسليمان الحكيم يرتبط بجنوب الجزيرة العربية وشمال إثيوبيا. كما أن اليمن كانت بوابتهم إلى العالم العربي والإسلامي لاحقاً.

إن هذا التمازج التاريخي يجعل سكان أديس أبابا، وجل الإثيوبيين، يحملون في هويتهم أصداء حضارات اليمن القديمة، مما يضفي على تاريخ المدينة بعداً سامياً-إفريقياً فريداً يُجسّد أقدم جسور التواصل الإنساني بين القارتين.

معالم تحكي قصص التنوع والحياة

المشهد العام لأديس أبابا عبارة عن نسيج من التناقضات الحيوية:

* **الميركاتو (Mercato):** هذا السوق المفتوح والضخم يُعدّ القلب التجاري للمدينة وأكبر سوق في إفريقيا. إنه فوضى منظمة تضج بآلاف التجار

والسلع، حيث يختلط عبق التوابل بجهد العمالة، وهو شاهد حي على الروح التجارية الإثيوبية.

* **جبل انتوتو:** يوفر هذا الجبل المطل على المدينة إطلالة بانورامية تأسر الأنفاس، ويمثل الرحم الأول للعاصمة، حيث لا تزال بقايا المقر الإمبراطوري القديم قائمة، متحدثة عن نقطة البداية.

* **ميدان مسكل وكاتدرائية الثالوث المقدس:** يمثلان المركز الروحي والاحتفالي، حيث تتجسد التقاليد المسيحية الأرثوذكسية العميقة لإثيوبيا في احتفالات صاخبة ومباني كنسية مهيبة.

ثقافة القهوة.. طقس اجتماعي مقدس

لا يمكن فهم الروح الاجتماعية في أديس أبابا دون الغوص في ثقافة القهوة. تُعتبر إثيوبيا الموطن الأصلي لحبوب البن، ويُقدم مشروب القهوة عبر مراسيم البُن (Buna Ceremony) وهو طقس يومي يستغرق وقتاً وجهداً كبيرين، بدءاً من تحميص الحبوب أمام الضيوف، وطحنها، وتقديمها في إبريق "الجبنا" على ثلاث دورات متتالية. هذا الطقس هو دعوة للتواصل الاجتماعي وتجسيد لروح الضيافة الإثيوبية العميقة.

وبالمثل، يمثل خبز "الإنجيرا" المصنوع من حبوب التيف، الطبق الوطني الذي يجمع حوله الأهل والأصدقاء، حيث يُستخدم كملعقة لأكل اليخنات الحارة ("الوات")، ليصبح محوراً للتآلف والمشاركة.

في الختام، تقف أديس أبابا كمدينة توازن بين أقدم التاريخ البشري وأحدث الطموحات القارية. إنها ليست مجرد عاصمة وطنية، بل هي قرطبة القارة السمراء، مركز للإشعاع والوحدة والجمال الذي ولد من زهرة، وما زال يتفتح باستمرار.

Mahtat Alramal , Alexandria in winter , by Khaled Hanno oil on canvas 50 x 70 cm 2022

محطة الرمل . للفنان التشكيلي المصري . د. خالد هنو

محمد محمد السنباطي
روائي . قاص . كاتب . شاعر . مصر

وفي هذه الأرض

وفي هذه الأرض كان البراح الجميل يرفرف فوق الجبل.

وكنت أعانق طيف الزمان القديم

ودفقة نور معطرة بالأمل.

على شاطئ ما من الكون أنقل خطوي

وثمة رملٌ وموجٌ

وبحرٌ يوشوشني لم يزل.

صداه بأذني

وتأتي إليَّ من الأمس أسرابُ طيرٍ

مناقرها ذات لحن ثمل.

هنا كعبةٌ وطوافٌ ورملٌ غزيرٌ جبالٌ وزمزمُ سلسلها متصل.

وإن كان وحي السماء اكتمل

وجبريلُ كفَّ

فزمزم لا يتوقف منها العطاءُ القديمُ

تلاقيه أنى توجهت فانهل قراحًا بطعم العسل

هنا كان جبريلُ يهبطُ بالنور في كلماتٍ

وكان النبي يلاحقه ليس يغرب حرفٌ

وفي خارج الدار كان الجوادُ المجنحُ

منتظرًا ليطير إلى الأفقِ

ـ تسمعُهُ؟

إنه قد صهل.

وكانت وكانت حروب طوال

وما أصعب العيش حيث تسيل الدماء وجعجعة وعويل ويبكي النبي لمصرع حمزة لكنه ما انخذل.

ويوم السقيفة خاتمةٌ ويوارى الثرى

ويأفل نجمٌ وإن لم يكن الحنايا أفل.

يظلُّ محمدُ ما ظلَّ ظِلٌّ وما الفجرُ تحت الشعاع اغتسل.

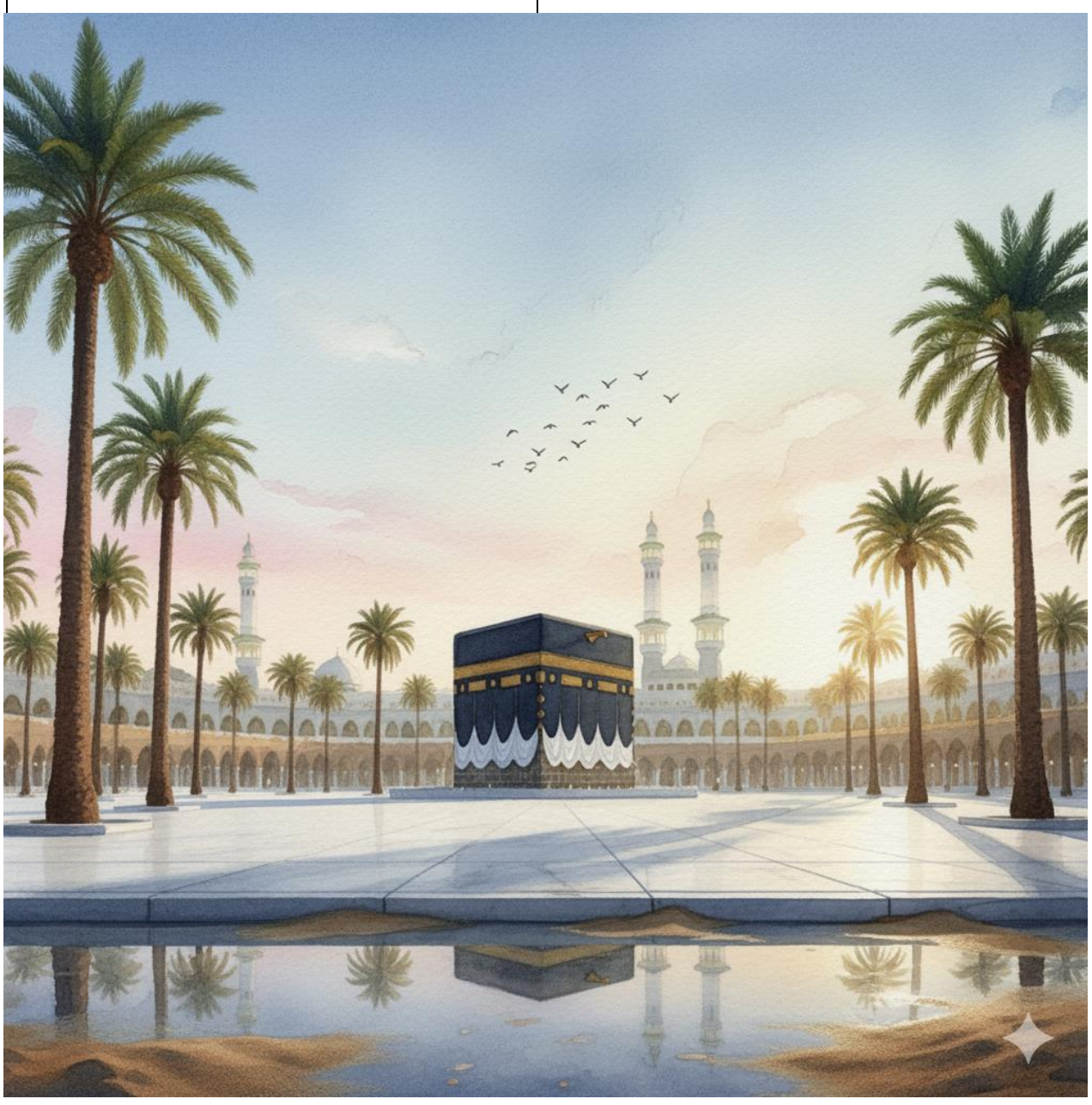

عند بوابة الفقد ..

سكينة شجاع الدين
شاعرة . قاصة . كاتبة . اليمن

حاولت كثيراً أن أغمض عيني
عن هذا اليوم.
من البارحة وأنا أخرس كل
هواجس الذكرى،
أبحث عمّا يشغل حركة لهفتي
ومشاعر تضج بي،
قلبي متسارع الخطو.
نحو لحظة لا يريد أن يتخطاها
أبداً،
مهما تنوّعت اهتماماته.
في زاوية تلفها العتمة،
وطرف خفي يذرف دموعي
بصمت.
أدون بلا جدوى،
ألهو بكل حكايات أطفالي
وجاراتي العادية جداً،
بلا جدوى.
هناك في مكان قصي
تظل محفورة ذكريات
لا قدرة للقلب على تجاهلها.
انتظار وصولك ليلة البارحة،
تهيأت جداً لاستقبالك،
وجمعت كل المحبين
لعلمي بفرحتهم بقدومك.
تمر الساعات،
وينقضي الوقت بطيئاً،
وأنا في خانة الانتظار
أتلوّى قلقاً،
لست على يقين بشيء،
لكنها المرة الأولى
التي استحث أخي
ليوافيني بأخبارك في رحلتك
إليّ.
أنا هنا، وكل نبضي كان متقداً
لديك.
انتظرت طويلاً
حتى قيل إنك وصلت مشارف
صنعاء.
كنت الأكثر لهفة،
لا أعلم لِمَ كل ذلك الضجيج ينتاب
صدري.
لم أبح بما يعتري صدري.
عاودت الاتصال،
ليقال إن حالتك ساءت،
ولابد من وصولك إلى مشفى
للاطمئنان عليك،
وعلينا أن نلتقيك هناك.
خرجت محتشدة بكل لهفة اللقاء
وأشواقها.
استعجل الوقت في العبور،

وأرجو أن يحلق أخي
في الأفق لنصل أسرع،
هناك حيث نجد الجنة في انتظارنا،
ونحن نترقب كلماتها عند رؤيتنا،
وعتابها الحنون لتأخرنا.
كنا نسير في ممرات المشفى بلا وعي،
لكل من حولنا وما حولنا،
فقط نريد رؤيتك.
سبقت أخي،
ووجدت دلائل عثوري عليك،
أخواي يتحدثان واقفين،
لا علامة على وجودك إلى جوارهم
سوى سرير متهالك.
ظننت أنك متعبة حد الإغماء،
لذا لم تنتبهي لحضوري.
وصلت إليهما أسأل عنك،
وأنا أحمل ثقل روحي بين جنبي،
لهفة تسبق إصرار السؤال،
واحتراق يشب من وقت لآخر.
هنا، في هذه اللحظة،
وفي هذا التوقيت منذ عامين،
صمت كل شيء في داخلي،
سكن كل ما يتعلج في حناياي،
وتاهت خطاي رغم عقلانية تحملها،
بقايا ذات كانت تقف هنا،
مرددة نفس السؤال:
أين أمي؟ ما لي لا أراها معكم؟!
هل حالتها تستدعي غرفة أخرى؟

كانت الإجابة من فعلت بي كل ذلك:
هنا، ألا ترينها؟
من يتبادر لذهنه أن جنته
غادرته بكل ذلك الصمت،
بكل ذلك السكون،
بكل هدوئها المعهود في الحياة؟!
كيف لعقلي وقلبي استيعاب
ذلك الخبر وتلك الفاجعة؟!
كيف لعيني أن تنظر إليك
وأنت لا تبادلينها تلك النظرات الحانية
المبتسمة شوقاً ودفئاً؟!
كشف أخي عن وجهك،
وليت عقلي وقلبي استوعبا ما رأيت.
هنا توقف كل نبض،
وسكنت الحياة حولي من كل وجيب،
وخارت كل قوى العوالم في صدري،
وأظلم كل شيء.
أضحت العتمة ملاذ حالتي.
تمر عليّ اللحظات ثقيلة،
وأنا أصرخ ولا قدرة لي على تحديد
أي زمن كنت أصرخ فيه،
وأي طاقة نضبت من جسدي.
ولا أعي من أمسك يدي من طيش الخنوع.
تاه العقل والفكر، وهامت كل جوارحي
في وجهك المسجى،
وجسدك الممتد على مدار عمر كامل

عشت لك وفيك وبك.
كيف لي أن أنسى؟!
وكيف لقلبي أن يسند ما مال منه
ويجبر كسر ما انكسر منه؟!
وكيف لجبر أن يعوض فقدك؟!
أمي، لا أتخطى لحظاتي،
قلبي لا زال يئن بحنين مكلوم،
وصدري غصة لا مدار لاتساعها.
كلما مضى الوقت ظننت
أني تعافيت من وجعي،
لكن ما يُدفن في مكان خفي،
وتلك الجثث التي أطلقها
من الصبر والنسيان،
ليست إلا مسكناً
ليهجع لوعة نفسي ولوعها،
ليسكن وجيبها
الذي يكسر حدود المكان والزمان،
ويكاد يقفز من صدري
عله يصل لما يبتغي،
بلا جدوى.
صدري،
قلبي،
هواجسي كلها
مليئة بك.
لا مقام فيها لسواك،
ولا حياة تطيب بعد رحيلك.
مهما حاولت التلهي بكل مشاغل الحياة،
إلا أنك أخذتني مني عنوة،
وتركت جسداً بلا روح،
وحياة خاوية لا يكتمل معناها،
ويملؤها تماماً غير ذكراك.

رحاب مدين
كاتبة. شاعرة. مصر

الموسم الماطر

قصة قصيرة

البارحة، عاد ليلاً متأخراً، وحيداً كما اعتاد دائماً. فمنذ أن رحل جدّه بعد مرضه الطويل، تاركاً له قصراً كبيراً قديماً محاطاً بحديقة واسعة على مرمى البصر، ذات أسوار عالية، يراقبها حُرّاس كثر مقابل تملّك جزء منها كما وعدهم جدّه.

لقد التهمه المرض الذي توفي فيه طائل الأموال؛ أُفرغت الخزائن وفنيت الأموال، وكان الإهمال قد طال كل شيء. أصبح القصر قديماً مهملاً، أشباحاً لأشياء كانت هنا ثمينة!

هنا كانت تُقام الحفلات الساهرة والمآدب الكريمة للفقراء.

وصارت الحديقة غابة ذات أشجار عجوز، وأعشاب غطت كل شيء، وكلاب ضالة تسكنها!

دخل قصره المهجور صامتاً، متخفياً من زوجته الساهرة تنتظره، فقد نام الصغير وسكنت كل أرجاء البيت. جلس بجوار المدفأة الكبيرة، خالية من الأخشاب، يتأمل ويتذكر رغد العيش الذي كان، وزواجه الذي دام خمسة أعوام.

فقد كان في الموسم الماطر... وهو الآن لا يملك شيئاً. ديون تحاصره، وأعباء لا يطيقها، فهو بلا عمل! نفد كل شيء... صعد غرفته يمشي حذراً، لتستيقظ زوجته ليخبرها أنه سيسافر تاركاً خلفه كل شيء.

قالت:

- كانت المسافات بيننا رأسية قصيرة، وتصبح غداً أفقية ظالمة، لا ترانا فيها ولا تسمعنا... أهكذا، دون كلمات تودعنا! ما أروع الرحيل دون وداع!

حان الوقت... أمتعته مغلقة وحقائبه جاهزة، ودموعها تتساقط... ليل بارد. فقد أعلنوا في المذياع بالأمس أن غداً يبدأ الموسم الماطر.

حملت في يدها مصباحاً تطفؤه الريح، وصارت تصطحبه نحو السلم. صاحت:

- احذر... درجات السلم مكسورة... إنه لا يكترث... ويمضي... يصطدم... صرخ:

- قدمي... آه، جرحت! إنها تنزف...

عاد وصعد الغرفة، مزقت ثوب زفافها الذي دام خمسة أعوام، وضمدت به جرحه الذي علم أنه ليس بقدمه!

قالت:

- ابقَ معي، لا ترحل... سنحتمل هذا سوياً. ألم تعهد إليّ منذ سنوات، في تلك الغرفة يوم أفضينا، أن لقيمات صغيرة يأكلها أحدنا تسد رمق الآخر، وحرارة أشواقنا تلهب رياح الموسم الماطر؟ ألم تصطفني على هذا الفراش لنفسك؟ ألم تُلقِ إليّ بمحبتك؟ ألم تمنحني غليظ مواثيق الهوى؟

وأنا الأخرى قد اصطفيتك... أتذكر أصوات فرحتنا؟ أتذكر أنوار سعادتنا؟ هل زالت عنك السكرة؟ والآن... التهمتك الفكرة...

صاح:

- اسكتي! لم يبقَ من آمال حياتنا غير آلام الجوع، وجوال الأرز الفارغ بالخارج. لم يبقَ من نور سعادتنا غير نور المدفأة الخافت، الذي يطلب خشباً فلا يجد للموسم الماطر... لم يبقَ من أصوات فرحتنا غير صراخ الطفل الباكي بالخارج...

قالت، وهي تُقبّل قدمه الدامية:

- لن أدعك ترحل...

انتفض، لا يستسلم، يركض بالأخرى... كل مستحيلاته.

قالت:

- احذر، حراس الحديقة بالخارج...

وخرج... لحظات... أصوات طلقات... وصياح أحد المارّة في الشارع:

- يبدو أن الحراس قد أصابوا لصاً...

فزعت إليه:

- ويلي... الرصاصة أصابت قلبك...

قال:

- لا... الرصاصة... أصابت فكري...

وعاد إلى قصره، ينتظر... الموسم الماطر.

84

قطـــــــ

د. رشا الطاهر إدريس
شاعرة . كاتبة . قاصة . السودان

غزوة و قصص أخرى
ق.ق.ج

غزوة

كان يعمل على تنويمهم مغناطيسيًا، عندما احتاج إليهم؛ لم يستطع إخراجهم من الغيبوبة.

إلهام

لم يوصلها التفكّر؛ اقتربت بسجدة.

تسبيحة

كان يتحسّر عليهم كلما تذكّر كم خيّبوا آماله، سمع المؤذّن يقول: لا إله إلا الله؛ فتساقطوا تحت قدميه.

كلمات

أبطلت حشمتها الأنيقة مفعول سترها، تعرّت؛ فأثارت الموتى.

كاتب

كلما أثاره موقف؛ بكى قلمه.

سياسي

في حفل تكريم الرؤساء كان كل وطن يدخل رافعًا رأسه، إلا وطنه دخل محنيّ الظهر؛ فاستحى.

قيادة

نُودي من الكعبة: حيّ على الجهاد؛ فخلعوا المذاهب وأقبلوا.

حسن الرشيد التجاني
كاتب . قاص . السودان

المكافأة

قصة قصيرة

الدويَّ كعادته يتصاعد شيئاً فشيئاً حتى يطبق تماماً على أذني الشيخ وهو مستلقٍ على سريره ينتظره برتابة، الآن عليه أن ينهض فقد دارت العجلة بسرعتها الكاملة في المدينة الكبيرة، الساعة السابعة صباحاً تدب في الطرقات كل مخلوقات الله باحثة عن رزقها، يبقى في الفراش فقط أولئك الذين ينتظرهم الناس، نوبة الصداع الحاد لم تخلف موعدها أيضاً، لشهر كامل وهو يتعاطى الأرق حتى منتصف الليل ثم ينام نوماً مضطرباً ليستيقظ عند الفجر، يصلي ثم يتمدد على الفراش الغريب منتظراً الدويَّ ونوبة الصداع وكوب الشاي.

في الأيام الأولى كان ينسل مبكراً، يهيم على وجهه في الطرقات حتى تفتح المقاهي أبوابها فيكون أول الزبائن، يظل في المقهى مراقباً الحركة من ركنه القصيَّ المواجه للباب، حتى يؤكد له ظنه أن الخفراء لا بد أن يكونوا قد غادروا المكاتب وحل مكانهم الفراشون، وحين يصل إلى هناك في كل مرة يكون عليه أن ينتظر في الرصيف حتى يغادر الخفراء بالفعل، يدخل بين الفراشين ويظل مرابطاً هناك حتى نهاية الدوام.

عشرات السنين وهو يخرج من منزله قبل شروق الشمس، بل لا يذكر في حياته أنه ظل وهو بكامل صحته متمدداً على سريره منتظراً شروق الشمس، أما الآن فإنه مجبر على ذلك، في البداية لاحقته نظرات أصحاب المنزل وتأكيدهم الدائم له حين يحضر:

"في الصباح جئنا لك بالشاي ولم نجدك" بل إنه يكاد يسمع شكوكهم "أيظن أنه يكلفنا كوب الشاي؟!" ثم ازداد تثاقلهم في مساعدته على فتح مغاليق الباب مصحوباً بالاعتذارات "هنا في العاصمة نخاف اللصوص، معظم البيوت تفتح أبوابها متأخرة" لم يجد مبرراً لخروجه المبكر ولم يفهموا دافعه فعذرهم في ذلك.

مضت أيام كانت تحملهم القطارات صاعدة نازلة وتحمله هو، كم تبادل معهم مباهج الحياة، يقبع بين المحاصيل وصرر الزاد تطير به نشوة الحصاد إلى الجنوب، وفي العطلات المدرسية يأتيه قطار الشمال محملاً باللعب والآمال، وبينما يحتفظون له بتفاصيل التقيؤ من أعلى مراجيح المنتزه الدائرة كالساقية، يذكرهم بضحكات النوتية على البكاء المتشنج في المركب على النيل.

أما الآن فالأبناء لا تثيرهم أقاصيص الذكريات عن البيوت التي بلا أبواب. ها قد وضعوا أمامه كوب الشاي، رشفات سريعة تتخللها الأسئلة المعتادة "ألم يجئ دورك بعد؟!" ..."بالأمس بدأوا الإجراءات مع الشخص الذي أمامي، آمل أن أنتهي اليوم، طالت أكثر مما يجب" ... "لا عليك إجراءات الحكومة تحتاج إلى صبر، البيت بيتك" خرج من البيت وانخرط في الزحام، رغم بعد المسافة يمشيها يومياً على قدميه ذهاباً وإياباً، تتخللها فترات أخرى من المشي لاصطياد مكان نائي يقضم فيه رغيف الخبز، يتوارى خلف أي شيء ويجلس على الأرض ممسكاً بيديه الرغيف منكس الرأس، آه .. وهذه كم تركت في نفسه الأخاديد، "رذيلة" ينطقها وهو يعض على أسنانه عندما كان يحكي للحلقة الملتفة حول الصحون في حقول القرية، لو يرونه على هذا الوضع ... ألم يكن من رواة الحديث عن الطعام المحفوظ في الثلاجات لعدة أيام؟! .. ألم يكن شاهدهم على سندوتشات الظلام في السينما؟! لو يرون الآن كيف ينسحب من الصف متظاهراً بأنه ذاهب لقضاء الحاجة ثم يعود وهو زائغ العينين، ولكن ما حيلته؟ الجميع

يفعلون ذلك، ثم إن هذا الانتظار الطويل أنهك جيبه وقواه، رغيف الخبز أصبح يعلل به البطن حتى الليل منذ أن غضب أقاربه على كيس الفواكه والخبز الذي يحمله بعد الظهر يبيح به لنفسه الغداء، يكفيهم أن ينتظروه على العشاء، تتهلل وجوههم فرحاً عندما يفلحون في جعل المائدة عامرة نوعاً ما.

الآن وصل إلى المبنى ....عمارة المعاشات ...دخل إلى البهو وبدأ في صعود السلالم، وجد آخرين قد سبقوه، بعضهم يتعثر في الصعود والبعض يستريح بين السلالم، شاءت الحكمة أن تكون مكاتب المعاشات في أعلى طابق، ربما لكي تكتمل حلقة الانتظار في أقرب النقاط إلى معارج الدعوات، يثب الدرجات وثباً فهو رغم سنينه الاثنتين والستين ما زال بكامل قوته، صلابة العود واستقامته أكسبتها له مصارعته لمفاتيح تحويل خطوط السكة الحديد، أكثر من أربعين عاماً وهو "محولجي" الخطوط للقطارات الصاعدة والنازلة في محطة قريته النائية، وأكثر من ذلك أكسبته له الانحناءة على المحراث وهو يستحث الثورين عبر الحقول، أجيال خرجت عبر محطته أكثرهم لم يعد، والبعض أطل بين الفينة والأخرى ليجده ما زال واقفاً حيث هو ممسكاً بالمفاتيح، وحتى زملاؤه الذين ابتلعتهم المحطات البعيدة عادوا وهم نظار أو مفتشو تذاكر، والمحظوظون منهم ابتسموا له عبر الزجاج الصقيل لنوافذ الصالونات الفخمة الملحقة بالقطارات. أما هو فقد استبقاه الحقل ليلم أطرافه الشاسعة وهو يعدو في الهجير حافياً خلف المحراث مرتين في العام، ومن غيره يستطيع أن يستخرج دمعة حارة في ليالي "طوبة" عندما تتجمد الأطراف في المياه الباردة وهو يبادل الحقول الابتسام فرحاً بثوبها الجديد الذي اكتسته.

خفف من سرعته عندما حاذى العجائز المترنحين في الصعود، سار بينهم في صمت، تتعالى أصوات الأحذية عندما تنجح في الاستقرار، قعقعة عصا وأنفاس متقطعة، جمعته بهم إلفة الزمان والمكان وانتظار الانعتاق من أسر الآمال، كان قد جمع لكل واحد منهم تفاصيل شخصيته حتى قبل أن تتوثق أواصر الصلة معهم، خبرة اكتسبها من آلاف القطارات التي مرت أمام ناظريه مكدسة بالأصناف البشرية، ابتسم لنفسه عندما تذكر كيف روجوا عنه النكتة، لو وقفوا مكانه لرأوا كيف أن عربات النوم تسير فعلاً أسرع من الدرجة الثالثة. هذا العجوز القصير المكتنز ذو الكرش المترهل الرجراج والوجه المستدير الناعم كان يعمل وكيلاً للبوستة في إحدى البلدات البعيدة، يحلم بأن يعود إليها ومعه مستلزمات المكتبة التي حدث الناس عنها طويلاً وبشرهم بأنه سيوفر لهم الصحف والمجلات، أكثرهم إفصاحاً عن رغبته واستقراراً عليها، يصعد السلالم معتمداً على الحائط ومتأبطاً صحفه الحبيبة. والآخر الطويل البالغ الهزال ذو العينين اللتين لا تستقران كعيني صقر كان يعمل سائقاً بإحدى المصالح الحكومية، لا يحلم بأن يمتلك سيارة ولكنه يرغب في أن يعمل بأخرى تجارية، ردد لهم أحاديث لا تنتهي عن سيارته القديمة التي لم تتوقف لسنين طويلة، استغنوا عنه الآن واستباحوها، يشير بيديه المعروقتين ليكمل وصف المشهد الأخير لقصة جائزة الانضباط عندما تلقاها في الزمان الغابر، تواطأوا على إسكاتِه بالسؤال: وماذا ستفعل بالنقود؟. وهذا العجوز ذو اللون الأبنوسي اللامع، لا تستشف الكِبَر إلا في تجاعيده التي تحكي أراضي بلاده المطيرة، الحارس السابق بمصلحة الغابات، قضى أيام الانتظار كلها نائماً مسنداً ظهره إلى الحائط يلملم رجليه الممدودتين كلما أحس بلسع البلاط البارد، كان لا يفتح فمه إلا مرة كل يومين أو ثلاثة عندما يسائل نفسه بصوت مسموع عن مصير ابنه السارح خلف القطيع. أفاقوا إلى أنفسهم على صوت اللغط المألوف، الطابق الأخير، توزعوا على الصف بحسب رصيد الانتظار.

اتجه هو إلى الأمام، اليوم صار أقدمهم، تحط عليه نظراتهم الكسلى وهو معلق على الباب المغلق على المصير، حتى خيالاته الجامحة نفرت، العيون البائسة من خلفه تراه يكاد يمسك بها، "حبال بلا بقر" علق أحد الخبثاء حين ودعته القرية وهو ذاهب لإحضار "المكافأة"، وهل تجاوز السر رفيقي العمر؟! ثورا المحراث آن لهما أن يستريحا في داره، سيودع فيهما المكافأة، سنوات وهو رهين لغيره منذ أن نفقت أبقاره في تلك السنة الأكثر جدباً، مهارته في المحراث عوضته عن أرضه الصغيرة التي ورثها عن أمه وورث معها الوصية وإشارتها بالسبابة "أبوك ضيّع أطيانه في المدن" وترك له عمل الحكومة، عمل من لا أطيان له، واللهاث مع الثيران ينضح عرقه على حقول الآخرين.

صرير الباب سرى في الأجساد المتكومة كسوط المالك الجشع

على ظهر العبد المتناوم، انتفض الجميع واقفين، من الباب المحمول على الأحداق خرج حاج محمد البستاني العجوز يحتضن الطرف البني كامرأة عقيم وهبتها المعجزة طفلاً، "حمداً لله على السلامة" رددها الجميع، أطل معهم ليبصر الدموع تطفر، ضجيج "النورج" يستنزلها أيضاً، يود لو يسأل حاج محمد هل سمعه ولكن الأيدي دفعته وقذفت به داخل المكتب. في الثانية والنصف لم يجد أحداً في وداعه، وحيداً هبط، انفلتت منه عدة همهمات ضاحكة، كفاه الله شر أسئلتهم، في أقل من ذلك عاتبوا عباس عامل سك العملة القديم "أفسدتهم علينا كيف تتنازل لهم عن هذا القدر؟" ولكنه حالة خاصة، يحتضن ثوريه وكفى، عدة رزمات في الظرف البني، بل تزيد عدة ورقات من الفئة الكبيرة خصصها للاحتفال مع الأقارب، الأريحية شملت حتى الجيران، الليلة الأخيرة تصدرهم بضحكاته العميقة، يلذ له أن يذكر الرقم مقروناً باللامبالاة المصطنعة، حين تركوه وذهبوا إلى فراشهم تيقن أنه لن يستطيع النوم، تسافر قطارات الآمال ذاهبة آيبة بينه وبين الحقول، الظرف البني يستحيل إلى ثورين بنيين يبتسم لهما ويبسط ذراعيه ليضمهما ... ثم فجأة ينغرس في جوفه ألم رهيب، يضغط بيديه على بطنه ويتلوى وهو يتدحرج على الأرض والألم يزداد حدة، يطبق على عينيه ظلام تام، يحاول الاستغاثة أو الصراخ ولكن صوته لا يطاوعه كأنما يصيح في بئر في الصحراء، الطنين يكاد يمزق أذنيه، يفتح فمه محاولاً الصراخ بكل ما يملك، الأنوار تضاء من حوله والأبواب تفتح وتغلق والأقدام تتراكض في كل الاتجاهات ... يستفيق على وجوه أليفة في مكان غريب، غرفة بيضاء وأسرة بيضاء وملاءات بيضاء، الوجوه الأليفة تتمتم من حوله ... حمداً لله على السلامة ... ما كنا نظنك ستحيا ...عملية قرحة، طافت عيناه بكل الوجوه المحيطة به ثم استقرت فجأة على الظرف البني في منضدة ملاصقة للسرير، امتدت يده بحركة لا إرادية وأطبقت على الظرف، طأطأ الجميع رؤوسهم يتأملونه يرفع الظرف الخفيف ببطء، طارت ورقة بيضاء من تحته واستقرت على وجهه ... أجرة السيارة ... قطن وشاش طبي ... أدوية ... أجرة السرير..... العملية.

د. إبراهيم تريه
كاتب . قاص . مصر

بالرفاء و البنين ..

عم صلاح الدين يعمل ساعيًا في المصلحة التي أعمل بها، وهو مهيب الطلعة ووافر الطول والعرض. "ملو هدومه"، كما يقال في البلد عندنا. يزين وجهه الأبيض شنب عريض منمق بعناية، ورغم منظره المهيب، فإنه طيب القلب ومتردد في آرائه، ومواقفه تكشف عن شخصية ضعيفة تتراوح في مواقفها كالبندول.

يحكي أحد زملائه عنه أنه تزوج في شبابه، وكان ذلك منذ عشرين عامًا من امرأة من بلد مجاورة، وتلك المرأة كانت بنت أحد أقاربه. دخل بها عم صلاح، وعندما أصبحا لوحدهما في غرفة واحدة، تحير عم صلاح وارتبك وحار فيما يفعل، ولكن زوجته كانت أكثر جرأة منه، وأخذت المبادرة وقادته إلى عوالم من البهجة والمتعة لم يلجها من قبل.

ومر شهر العسل وهو في هناء وسعادة، في حنو زوجته وإرواء غريزته المتأججة، ينام هانئًا في حضن زوجته، ويصحو وأريجها يملأ خبايشه ويشيع في نفسه الرضا والحبور.

لكن مرضًا خفيفًا ألم بزوجته بنهاية شهر العسل. أخذت له قرصين أسبرين وزجاجة كوكاكولا ساخنة، لكن المغص لم ينتهِ، فأخبر أمه، وكانت تعمل كداية تولد النساء وتختتن البنات عند بلوغهن.

دخلت أمه على زوجته وراعت أنها تشكو مغصًا متقطعًا في البطن يأتي دفعة واحدة، فتتقلص شفتاها ويربد وجهها ويشحب، ثم يزول الألم دفعة واحدة كأن ليس بها شيء. دخل الشك قلب الأم،

فهذه أعراض تشبه طلق الولادة!! كذبت الأم نفسها، ولكن المغص اشتد وقعه، وتسارع معدل تكراره، وبدأت الزوجة تصرخ صرخات مرعبة متتالية، وانهارت مقاومتها، وانفجر سائل أسفلها، وتبعه رأس صغير وردي، ثم انزلق على السرير طفل كامل يصرخ صرخات صغيرة متتالية، نزقه!

ألجمت الدهشة الأم لعدة ثوانٍ، ثم أفاقت من ذهولها، فأصلحت المولود ولففته في خرقة بجوارها وخرجت. عند باب الغرفة، وجدت ابنها الزوج عم صلاح، فصفعته على وجهه صفعة مدوية جزاء غفلته، وكذلك فعل الأب الحانق في ابنه.

وسارت فعلته أو غفلته مثار تندر أهل البلد وتفكههم، ربما لعدة أجيال، وذاكرة الشعب جبارة لا تنسى.

الكلمة المؤجلة ..

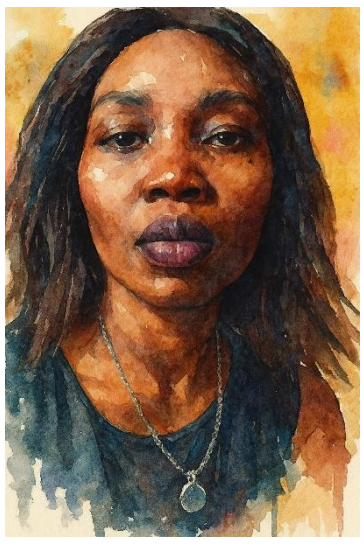

نيالاو حسن آيول
شاعرة . كاتبة . جنوب السودان

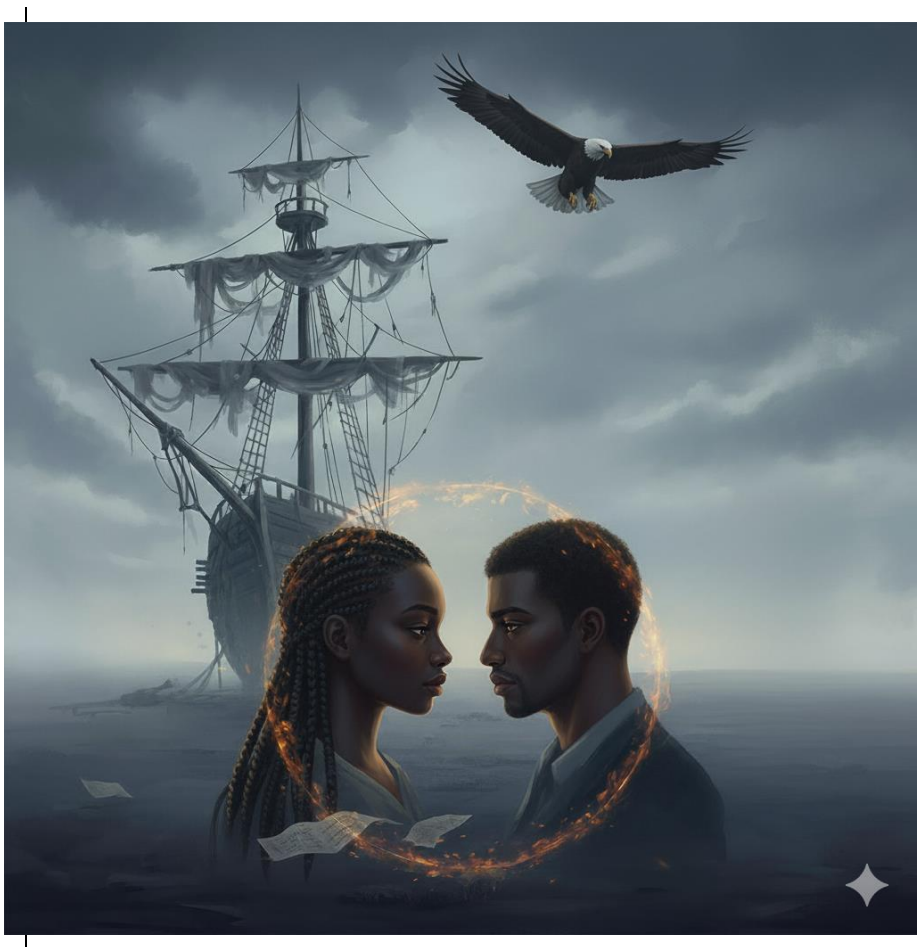

1

الكَلِمة التي تركناها لوقتٍ لاحق
مَكسورة كصواري السُفُن الغارقة.
تعلو كل يوم قليلاً في الهواء،
تتشابك مع الصمت.
تبحث عنها في وجهي،
ونفس التعبير الجريح في شفتيك!

2

الحُب يختار طقوسه،
المدار الأعمى،
الفرح المفاجئ الذي يأتي من الأرض،
الاكتشاف الهائل لقمة الحواس.
كلما ارتفع بيننا الوداع
عاد الشوق بشكل غير متوقع،
كما يعود الشك في كل مرة.

3

دؤوب في البحث عن وسيلة
لتغطية عواطفك العارية
بالجزء الذي تركته لك من قصائدي.
كأن نشوة أفكارك لا تعمل إلا في دائرة النار!
اعترف: أنا الآخر الذي ينظر إليك في المرآة،
أنا نفسك!

4

عشقك مثل طائر غريب
يحلق بعد العاصفة.
يا للشِّعر!

5

ليس لدي سوى الهواء
في هذا المنفى.
صوتي في فمك أسير،
أنفاسك في عروقي مختبئة.

6

الكلمة التي تركناها لوقتٍ لاحق
لم تعد تؤذيني!
هي الفراغ والصمت،
الصوت والصدى.

هدى حجاجي
شاعرة. كاتبة. مصر

دفتر التعب ..

أنا لا أكتبُ لأنّي كاتبة.
ولا لأنّ الكلمات تطاوعني.
أنا أكتبُ لأنّي أتسرّب... وإذا لم أُمسكني، سأضيع.
كل مساء، أفتح دفتري القديم — الذي تغيّر لونه من الأبيض إلى الرمادي — وأكتب كما لو أنني أكنس رأسي من الفوضى.
لا أبحث عن جُمل جميلة، ولا أرتّب أفكاري.
أنا فقط أقول:
أنا... متعبة.

متعبة من أشياء لم أبدأها، ولم أرفضها.
من مشوارٍ لم أقطعه، ولا أعرف إن كنتُ أريد قطعه أصلًا.
من علاقةٍ باردةٍ مثل كوب شاي تُرك على الطاولة لأيام، لا هو ساخن يُشرب، ولا بارد يُرمى.
من ذكرياتٍ مريضةٍ تنهض كلما حاولت النوم،
ومن غدٍ يدور، ويدور، ويدور... ثم لا يجيء.

أشعر أنني أعيش في مسوّدة حياة، نسخة غير نهائية من نفسي.

الناس يمرّون، يصخبون، يخطئون في مناداتي،
وأنا أبتسم — ليس مجاملة، بل نسيانًا لاسمي الحقيقي.

لم أعد أعرف ملامحي.
أصبحت أهرب من المرآة كما يهرب التائه من خارطة.
أنا لستُ غاضبة، ولا حزينة.
أنا فقط... مثقلة.
أحيانًا أشعر أنّ التعب يسكنني مثل ضيفٍ لا يريد الرحيل،
يرتب ملابسه في خزانتي، يتناول قهوتي،
ويكتب بدلًا عني في دفتري.
اليوم، كتبت عبارة واحدة فقط:
«أنا لا أريد شيئًا، سوى أن يهدأ رأسي.»

ثم أغلقت الدفتر،
وأطفأت النور،
وجلستُ في العتمة...
أراقب مساءً آخر، يتسلّل من تحت الباب، ولا يحمل أي شيء جديد.

نوادر إبراهيم
كاتبة . قاصة . شاعرة . السودان

ميلادي ..

اليوم ميلادي
بطعم الصباح
عنفوان أيلول
دفء المطر
صوت الجداول
هناك في بلدي
عند آخر الحلم
الكل يسأل مَنْ أكون؟!
الليل يهديني أهزوجة خصبة
النجم يرميني بسطوعٍ رمادي
وهذه الأرض تلفظني على عجلٍ
كأني دواة عاشقٍ أخذه الوله إلى الجنون
كأنني النهر الذي ابتلع الساحرة فأبطل تعاويذها

كأنني أنا بعصرٍ آخر،
وجيل بعيد يعود إلى هوية الخلود
أيلول هذا العام
أخذ عامًا من عمري
أو ربما أعطاني فرصة جديدة
لأسرق من العالم ما فاتني
لأستحق النجاة من براثن الوهم
ها هو العام يتجدد
وشبابي يعزفني على خارطةٍ من الأشياء البعيدة
سأصل ذاك المحيط وأغوص بأعماقه
سأعيش ذاتي التي تشبهني
وعندما أموت سأطفئ شمعة أيلول بقبلة ونوم عميق

على مهاد من أمجادي
وعثراتي المضحكة
سأضحك على قبر اليأس
وأمضي إلى قبري أستنشق الورد
ورد الحب الذي خلفته بعد مغادرتي
شاهدي سيكتب عليه:
عاشت كما شاءت
عاشت كما هيَّ
هنا أيلول
هنا ميلادي
هنا أنا
أكتب لنفسي
السلام الذي ينقصنا
أكتب سلامي لهذا العالم

معراج الصّعود 46
على شرفة الانتظار

د. سامي الشيخ محمّد
كاتب. شاعر. مصر

لا تطل الرّحيل أيُّها القمر اللّيليّ

لا تمعن في النّايِ عن مصابيح الدّجى

لا تُبعد كثيراً عن الحمى

فثمّة من يرقب طلوعك على شرفة الانتظار

لا تبرح سماء الحبيب برهةً

لا لا تذهب عن باصرة الكون

أيُّها النّور في بلاد السّنابل والياسمين

تهواك البحارُ وجداول الأنهار

وراسيات الشّوق والتّلال الخضرِ

وكروم اللّوز والتّين والزّيتون

والكرمة وأكمام النّخيل

وسنابل الحقول

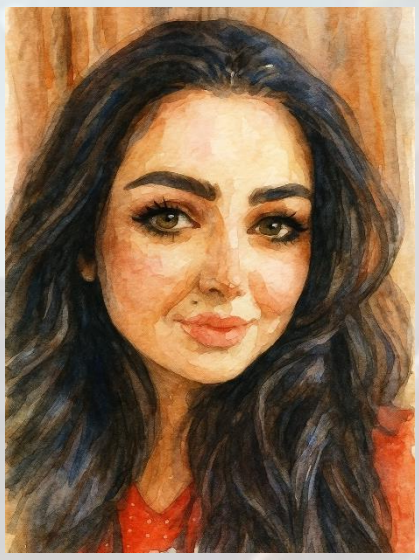

بيوتنا القديمة..
ذاكرة لا تغادرنا

ريما حمزة
كاتبة. قاصة. شاعرة زسورية

نغادرُها ولا تغادرُنا.. بيوتُنا القديمة...

هل لأنَّ هندستَها تقوم على أساسٍ عاطفيّ؟!

فكلُّ بيتٍ يسندُ خاصرةَ البيتِ الآخر، وكلُّ شرفةٍ تمدُّ يدَها للشُّرفةِ المقابلة!

أمْ لأنّها لا تكتبُ وتمحو أسماءَ نزلائِها كالفنادق، وتسكنُها رائحةُ البقاءِ كما يسكنُ اللهُ وجهَ طفلٍ جميل؟

صعبٌ اقتلاعُها من عصَبِ القلب، وهي التي أمسكتْ بعناوينِ الريح، ولم تتخلَّ عن حبّةٍ واحدةٍ من (مسبحتِها).

قد تركَبُ بساطَ الريح، وتمتطي المجهول، وتُغمِدُ ريشَكَ كسنونوةٍ شاردةٍ في فيروزِ السّماءِ، وتقابلُ شمسَ الشموس، لكنها لن تفكَّ حصارَ جليدِكَ حتى التناثر... حتى التبعثر... حتى التبخُّر. بل ستُحيي هشيمَك..!

وبين هذا وذاك...

ثمّةَ أوركسترا صاخبةٌ من أشجارِ الزيتونِ والبلّوطِ وشتولِ الحبق والوردِ البلدي والزعتر البرّي، تصدحُ وتتصاعد.

ليلَكةٌ تمشطُ شَعرَها البنفسجيَّ وترمقُكَ بابتسامة.

همزَ لكَ شيطانُ الحنين، فتهاوتِ المشاهدُ في عينيكَ كأشجارِ الخريفِ المتكسّرةِ تباعاً...

كيف ستلملمُ زجاجَ القلب؟! وأنتَ تمشّطُ الأمسياتِ والضحكاتِ والأحاديثَ عبارةً عبارةً، وبين الفواصلِ تمُرُّ طفولتُكَ... مراكبُكَ الورقيّة... داليةٌ تسللتْ لحضنِ نافذتِك... بوابتُكم العتيقة...

تطالعُكَ وجوهُ من تُحبُّ... أمُّكَ... الكاهنُ الكبيرُ الذي يقيمُ للحنان طقوسَ عبادة... أصواتُهُمُ المبعثرةُ في مهرجانِ حياة، عيونُهُمُ المتوجّسةُ من الرّحيل...

مغروسٌ أنتَ هناكَ كوتدِ خيمة...!

تقعُ عَبَراتُكَ في مأزق، وترمي الدُّميةَ التي كنتَ تقتلُ بها الوقت... الوقتَ الذي استغرقَتْهُ دمعةٌ خانتْك...

يا لملوحةِ الذكرياتِ وطعمِها الحارقِ الحاذقِ..!

كيف أشعلتْ حطَبَ رأسِكَ دفعةً واحدة؟!

كيف فتحَ الماضي نافذتَهُ في وسادتِكَ الجديدة؟!

أيُّ هَرَبٍ هذا؟!

إنّها مسكونةٌ فيك، ولم تغادِرْها أبداً... بل غادرتَ بها...

في محطة القطار

قصة قصيرة

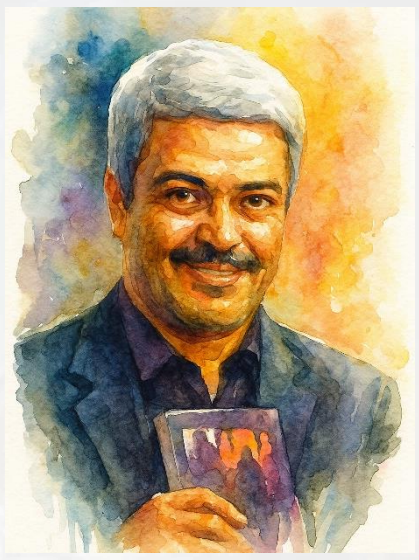

حفناوي سيد

مترجم . قاص . فنان تشكيلي . الجزائر

حملت حقائبي وذهبت إلى محطة ليلية، وجلست قرب سكة الحديد مع مسافر كان يتوسد حقيبة ضخمة ويضع على رأسه جريدة قديمة. اقتربت منه لأن المكان كان موحشًا ومخيفًا جدًا. تمددت على الكرسي الخشبي الطويل المقابل له، ووضعت حقيبتي تحت رأسي مثله تمامًا. فنظر في اتجاهي وتمتم، واعتدل في مكانه، ونام على الفور، غير آبه بما يدور حوله من أحداث.

لم يتحرك قطار واحد في المحطة الليلة.

ولم يُسمع صوت لصفارة واحدة في تلك المحطة المهجورة.

فجأة، بدأ الرجل يفتش في جيوبه ووقف ونظر في اتجاهي وأنا أراقبه دون أن يشعر. لم يقترب صاحب الحقيبة مني بل تمتم وجلس هنيهة، ثم أخرج سيجارة ووضعها بين أصابعه قائلًا:

"Il va me dire qu'il ne fume pas ce fumier d'arabe, ils sont tous les mêmes, ils dorment dans les gares pour éviter la ville, et le matin ils vont faire pipi sur les railles. Quels abrutis de cons qu'ils sont ces merdes!"

الرجل كان يتكلم بالفرنسية.

ونظر لي بغضب شديد.

كان يشير لي وهو يكلم نفسه.

أخرجت حينها من جيبي علبة كبريت، واتجهت نحوه قائلًا:

"J'ai du feu monsieur, si vous en voulez, servez-vous en!"

كنت أسأل نفسي وأنا أناوله علبة الكبريت: هل أنا في فرنسا؟ من هذا الرجل الذي يتكلم بالفرنسية ولماذا يقبع في هذه المحطة ليلًا؟ وأين أنا الآن؟

كانت المدينة جاثمة تحت ظلام دامس، كل اللافتات كانت مكتوبة بالفرنسية.

هرولت نحو إدارة المحطة.

كانت لافتة المدخل مكتوبة بخط غوتي كبير: لا ركاب في المحطة.

فقط مكتب صغير يظهر فيه رجل يجلس إلى طاولة حديدية.

رأيته من خلال زجاج النافذة الليلية يكتب في سجل ضخم، وينظر أمامه دون الاهتمام بما يجري حوله.

اقتربت من موظف المحطة، نقرت على زجاج النافذة، فوقف وفتح النافذة. وكان يرتدي سترة كُتب على أحد جيوبها بحروف حديدية بارزة عبارة CFF.

قال الموظف غاضبًا وهو يطل من النافذة:

"Allez-vous en, il est interdit d'entrer ici!"

حينها، أدركت بأنني كنت فعلًا في فرنسا، وبأن تلك المحطة كانت فرنسية، وبأن الرجل النائم فوق المقعد الخارجي كان فعلًا فرنسيًا. وأن كل تلك الأشياء التي كانت تحيط بي كانت محطة قطار فرنسية. غير أن السؤال الذي كان يرعبني كان كالتالي: كيف وصلت إلى هذه المحطة؟ ومن أي بلد جئت؟ وهل أنا فعلًا في هذا المكان من أجل هدف معين؟

وعدت إلى ذلك الرجل النائم في المحطة فلم أجده، ولم أجد حقيبتي. لقد أخذ مني الحقيبة واختفى إلى الأبد.

حقيبتي كانت فيها رواية كتبتها صديقة لي، كنت قد وعدتها بأن أترجمها إلى الفرنسية وتشاركي بها في مسابقة جائزة غونكور. الرواية كانت أكثر من رائعة، ولم أذكر إن ترجمتها أو لم أترجمها بعد. رواية كانت تحكي قصة جندي فرنسي وقع في غرام فتاة جزائرية إبان حرب الجزائر.

رواية كانت تحمل كل الأمل بالنسبة لكاتبة عربية كانت ترى حلمها يتحقق من خلال فوز مترجم روايتها بجائزة مالية ضخمة، تمكنها من تحقيق كل ما تريده من أحلام.

كانت القصة تبدو كحلم ممنوع، حلم كنت أعيشه داخل نفسي، وكانت تلك الرواية التي أخذها ذلك المتشرد واختفى عن الأنظار.

كيف تضيع مني تأشيرة البقاء في فرنسا وقد وعدتني صديقة فرنسية بأن تقرأ ترجمة الرواية، وتنشرها وتروج لها في كل مكان؟ الرواية كانت تحكي عن قصة حب مستحيلة وقعت خلال حرب الجزائر، وكنت قد كلمت زميلتي Pascale عنها فوافقت أن تضع لها مقدمة وتنشرها في فرنسا.

رجعت أدراجي، وهرولت نحو دهاليز المحطة وفتشت عن الرجل الذي أخذ حقيبتي واختفى في الظلام. كان يجري ويحمل الحقيبتين ويصيح:

"Allez-vous en d'ici, foutez-nous la paix!"

كنت أجري وراءه وأصيح:

"Arrête espèce d'idiot, au secours, Oh voleur!"

لما اقتربت منه قلت له:

"y a rien dans cette valise, y a que des papiers."

كان يصيح ويقول لي:

"justement, je veux t'empêcher de rester sur mon territoire, je vais les brûler ces foutus papiers tu comprends!"

دخل المتشرد في نفق مظلم قرب المحطة، حاولت اللحاق به لكنني وقعت على الأرض، فارتطمت جمجمتي بسكة الحديد، وغبت عن الوعي.

بعد أيام، وجدت نفسي في مستشفى بقلب نيس الفرنسية.

"Vous avez l'air d'aller bien monsieur."

سألت الممرضة:

"Pourquoi suis-je là mademoiselle, s'il vous plaît!"

فأخبرتني بأن الشرطة قد ألقت القبض على المتشرد الذي كاد أن يقتلني قرب المحطة، ذلك الذي أخذ مني الحقيبة، وكاد أن يحرق كل ما فيها من وثائق.

قلت لها: "وهل ما زالت حقيبتي معه سيدتي؟"

قالت:

"Rassure-toi, la valise est là, t'inquiète!"

بعد أيام غادرت المستشفى وقدمت الرواية للمسابقة، كانت فرصتي الأخيرة لتحقيق حلمي. استقبلتني السيدة الأولى بكثير من الحب والاحترام. بعد أيام، وصلتني دعوة من دار نشر محترمة، وتم الاتفاق على نشر الكتاب في فرنسا. عدت إلى المشفى لاستكمال علاجي. وبعد شهرين، تم طبع الكتاب وبدأت رحلة متاعبي مع صاحبة الرواية التي ترجمتها إلى الفرنسية، حيث رفعت الكاتبة قضية ضدي، تدعي فيها السطو على نجوميتها بطريقة التحايل. فاستلزم الأمر تدخل جهات نافذة في فرنسا. فُصل الأمر، لكن العداوة ظلت قائمة بيني وبين صديقتي الكاتبة. كنت أنوي التقرب منها وخدمتها. الكاتبة كانت لئيمة واشتمت رائحة خيانة في القضية.

انتهت القصة وطارت فرحة الشهرة، في غمرة تعرضي لموجة لوم واسعة من طرف أصدقائي الكتاب.

قلت في نفسي وأنا أعود للإقامة في فرنسا: "سأبقى هنا، وأتحول إلى مجرم أدب، يقاتل من أجل كسب ود مخلوقات لا تؤمن بالحب."

حِكايات الجَدَّةِ صَفاء

قصة للأطفال ـ للمرحلة السنية (8ـ12) سنة

الواحة

اللوحة للتشكيلي الأردني عمر بدور

د. شاكر صبري
شاعر. قاص. كاتب. مصر

حِكاياتُ الجَدَّةِ صَفاء

قصة للأطفال

للمرحلة العمرية (8-12) سنة

كامِلُ طفلٌ مؤدبٌ متواضعٌ محبٌ للآخرين. كان والده يسافر دائماً للعمل في الخارج، ولم يكن يأتي لزيارة الأسرة إلا مرّةً كل عام أو كل عامين لمدة شهرٍ فقط ثم يعودُ.

كان جده الشيخ محفوظ رجلاً مسناً يعيش مع جدته صَفاء في منزل العائلةِ وخاصةً أنه قد كبر في السن ويحتاج إلى رعاية.

أحبَّ كاملُ جده فكان يقضي معظم وقته معه حتي لا يشعرَ بالملل. وكان يقول: إنَّ جدي رجل كبير يحتاج إلي رعايةٍ واهتمام ويجب أن لا نتركَهُ يشعر بالوحدة.

طلب كامل من جده أنْ يأتي للعيش معهم في منزلهم، ولكن جده رفض وقال: إنني لا أحبُ أن أكونَ عباً ثقيلاً عليكم فمنزلكم صغير ولن يتحمل وجودنا معكم، وأنا أُحبُّ أنْ أشعرَ براحتي أكثرَ مع جدتكم في بيت العائلة هنا.

كان أخوهُ خالدٌ الأصغرُ منه سناً يحبُ أن يأتي معه لزيارةِ جدِّه بينَ الحين والآخر، وأعجبَ ذلك أختَه هالة وكانتْ أكبر من كامل فكانت تأتي هي الأخرى بين الحين والآخر لتجلس مع جدها.

كانت جدَّتهم صَفاء تحبهم كثيراً وتحب أن تجلس معهم وتحكي لهم الحكايات المسلية. وكانوا يذهبون إلي والدتهم ويقومون بحكايتها لها، بينما كان جدهم يصحبهم إلي المسجد أحياناً، وأحياناً أخرى كان يجلس لقراءة القرآن.

فرحت جدتهم صَفاء بهم كثيراً، وكانت تحْكي لهم حكاياتٍ من الزمنِ القديم كانت تعجبهم كثيرا وكانوا يذهبون إلي والدتهم ويقومون بحكايتها لها.

ودخلَ الإخوة الثلاثة علي جدهم ذاتَ يومٍ وهو يقرأ القرآن. نظروا في المصحفِ فوجدوه يقرأ سورة يوسُف، فقال كامل هل تعرف قصة يوسف عليه السلام يا جدي؟ فقالت الجدة: بالتأكيد وسوف أقُصُّها عليكم، ولكن سأحكيها لكم علي فترات.

وبدأت الجدة صَفاء تحكي لهم قصةَ نبِيِّ الله يوسفَ عليه السلام.

قالت الجدة: ولد سيدنا يوسف في بلاد كنعان في فلسطين، كان أبوه هو نبي الله يعقوب، وكان له عشرة إخوةٍ من أبيه يعقوب، ماتت أمهم فتزوج يعقوب عليه السلام من زوجةٍ أخرى، أنجبت سيدنا يوسف وأنجبت ابناً آخر اسمه بنيامين.

كان إخوته يعملون بالرعي للأغنام، وكانت هذه هي المهنة التي يعمل بها أكثر أهلِ هذه المناطق.

نشأ يوسف عليه السلام بين أحضان أبيه، فقد كبر أبوه في السن، وكان يوسف خيرُ مؤنسٍ له فكان أبوه يحبه هو وأخاه بنيامين.

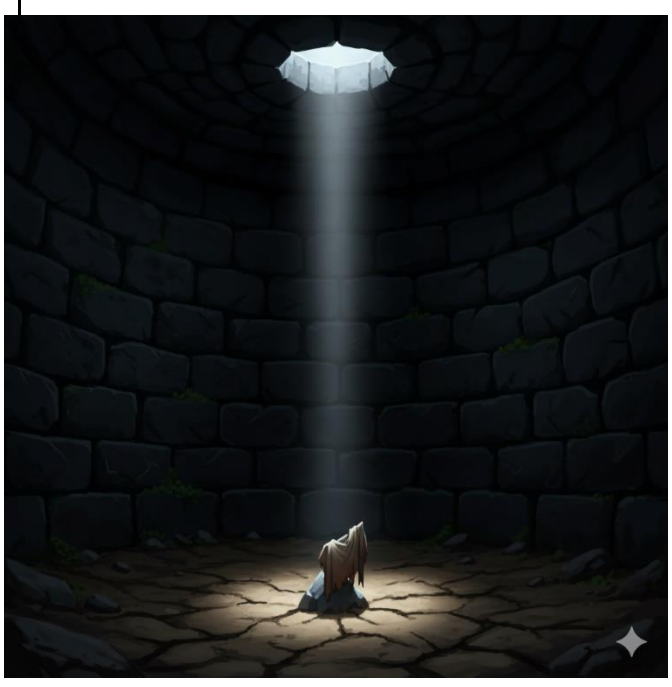

وزاد حب أبيه له أكثر، فظهرَ ذلك

عليه، وزاد انشغاله به فلاحظ إخوتُه ذلك، فتملَّكت الغيرة قلوبَهم.

بدءوا يتحدثون في ذلك ويتغامزون ويتهامسون، ولاحظ أبوهم ذلك ولكنه كتم ذلك في ءءنفسه، ولم يُفصح لهم عما يشعرُ به.

رأى يوسف عليه السلام وهو صغير في المنام رؤيا عجيبة، رأى أحدَ عشرَ كوكباً تسجُدُ له، ورأى الشمس والقمر أيضاً تسجدانِ له.

و اتَّجَهَ نبي الله يوسف لأبيه نبي الله يعقوب، وقصَّ عليه رؤياه، وفسَّر والدُهُ الرؤيا بأنَّه سيَكونُ له شأنٌ عظيم، ثم قال له يا بني "لا تقصص رؤياك علي إخوتك فيكيدوا لك كيداً" لأن تفسير الرؤيا كان واضحاً لهم، وهو أنه سيصبح له شأن وسيسجدون له كما كان في الرؤيا.

وكان عادة القدماء أن أقارب الملوك إذا دخلوا عليهم حيَّوْهم بتحيةٍ خاصَّةٍ وهي السجودُ لهم، وبهذا رأى أبوه أن تفسيرَ هذه الرؤيا هو أنهم سيسجدون له أي أنَّه سيكونُ له شأنٌ عظيم.

كان الحقدُ يزيد ويزيد في قلوبِ إخوة يوسفَ، خاصة وأن أخاه بنيامين هو الآخر قد نال أحبَّهُ أبوهُ كثيراً، وأصبح

منشغلاً عنهم بهما، مع أنهم كانوا رجالاً أشداءً، بينما كان يوسف عليه السلام وأخوه لم يزالا طفلين صغيرين.
اشتعل الحقدُ في قلوبهم أكثر، ففكَّروا في حيلة لكيْ يتخلَّصوا من يوسف عليه السلام، واجتمعوا سوياً وقرَّروا أن يفعلوا شيئاً يُخلصهم منه، واجتمع رأيهم علي قتلهِ، ولكن أخاهم الكبير كان أرق قلباً فقال لهم: لا تقتلوه وألقوه في بئرٍ عميقٍ فإما أن يموت وإما أن يلتقطه أحد من المارين الذين يأتون لشرب الماء من البئر ويأخذوه معهم إلي أي مكان فيصبحُ عبداً لهم، ونتخلص منه.
واتَّفَقوا علي ذلك وذهبوا إلي أبيهم.
فقالوا له يا أبانا: نرجو أن تترك معنا أخانا يوسف لكي يرى المراعي ويتنزه وسط الهواء الطلق، وقلقَ أبوهم نبي الله يعقوبُ عليه السلام، وقال لهم: لكني أخاف أن تنشغلوا عنه برعي الغنم و يأكله الذئب، فقالوا له: لا تقلق، لن يحدثَ ذلك أبداً وهو معنا، فسوف يكون وسطنا وسوف نخاف عليه أكثر من أنفسنا.
ومع ذلك فقلب النبي الأب كان أكثر فهماً وإحساساً بهم، ولكنه لم يستطع أن يمنعه منهم فترَكه لهم.
أخذوا سيدنا يوسف، ثم قاموا بإلقائه في الجب، قال كامل ما هو الجب يا جدتي؟... قالت: هو بئرٌ عميق ومظلم.
وأصبحَ سيدنا يوسف وحده في هذا البئر العميق.
ثم قاموا بذبح شاةٍ ولطخوا قميصَهُ بدمائها.
ثم عادوا إلي أبيهم، وقالوا له لقد أكلَ الذئبُ أخانا يوسف، وأعطوا قميصه لأبيهم نبي الله يعقوب.
حزن نبي الله يعقوب حزناً كبيراً علي فقدان ابنه الحبيب يوسف وقال لهم إن ما حدث لابنه وراءه سر كبير، ولكنهم بالتأكيد لم يفصحوا له عن ما فعلوه به، وقال متعجباً كيف يأكله الذئب ولم يقطع قميصَه؟
ومن شدة حزن نبي الله يعقوبُ علي ولده ومع مرور الأيام فقد بصره.
أما سيدنا يوسف فظل في البئر وحيداً، حتي مر على البئر بعض العابرينَ فأرادوا أن يشربوا ماءً فألقوا الدلوَ ليُخرجوا الماء، ولكنهم وجدوا أن الدلوَ ثقيلٌ جداً وحينما نظروا إلي ما فيه وجدوا نبي الله يوسفَ متعلقاً به، فقاموا بإخراجه.
ففرحوا به حتى يبيعوه بأي ثمنٍ فهم لم يتعبوا في الحصول عليه.
وكان هذا البئرُ في طريق السفر لهم، وكان هذا الطريق متجهاً إلي أماكنَ كثيرةٍ منها مصر. وكانوا متجهين إلي مصر.
فباعوه لغيرهم من المسافرين إلي مصر بثمنٍ بسيطٍ لا يساوي سعرَ عبدٍ في هذا الوقتِ، ومع ذلك فرحوا بهذا الثمن، وفرحَ الذين اشترَوْهُ وقالوا: سنبيعُه في سوق العبيد في مصر.
وذهبوا به إلي مصر، واتجهوا علي الفور ليبيعوه في سوق العبيد.
كان عزيزُ مصر، وسأله كامل ما معني عزيزُ مصر؟ قال الجد: يعني وزيرُ الماليةِ في مصر، وزوجته كان اسمها زُلَيْخة.
كان هذا الرجلُ لا ينجب، ولهذا قرَّر هو وزوجته أن يتجها إلي سوق العبيد ليبحثا عن خادمٍ يؤنسهم.
وحينما رأوا سيدنا يوسف أعجبوا به، وقالت زوجةُ العزيز لنشتري هذا العبد فهو صغير وربما اتخذناه ولداً وتبنيناه فعوَّضنا عن فقدان الابن.
وأُعجب عزيزُ مصرَ به واشتراهُ بثمنٍ كبيرٍ أكبر بكثيرٍ من قيمةِ أي عبدٍ كانَ موجوداً في وقته، ولكنه شعرَ بالحبِّ له والارتياح.
وبعد أن عاش معهم أَحبُّوه وعاملوه كأنه ابنهم تماماً، لما وجدوه من حبٍ وتقديرٍ له.
وكبر يوسف عليه السلام وهو بينهم حتي أصبحَ شاباً ناضجاً قوي العضلات. أرادتْ زوجةُ العزيزِ أن تمارسَ الفاحشةَ معهُ، ولكنه رفض فجرت خلفه فَجرى منها وكان كلما جرى فتحَ باباً من أبوابِ القصرِ، وهي تجري خلَفه وتغلقه، حتي وصلت إليه وشدت قميصه من الخلف فقطعته.
ولكنها وجدته مع ذلك يرفض طلبها لأنه يخاف الله.
في نفس الوقت دخل زوجها فوجد ما حدث.
ووجدت أن أمرها قد انكشف فأرادت أن تُخفي ما فعلت قبل أن ينفضِحَ أمرُها، وقالت لزوجها: ماذا ستفعلُ مع من أرادَ أن يعتدي علي شرفكَ وعِرضكَ؟
فقال العزيز: سينالُ أشدَّ عقوبة عندنا، فقالت امرأة العزيز: إن يوسفَ الصبي الذي اتَّخَذْته ابْناً لك حاول الاعتداء علي شرفك وعِرضكَ.
وثارَ العزيزُ وجمعَ حوله المستشارين لكي يقرر ماذا يفعل مع يوسف؟ هل يقتلُه أم يسجُنه؟
وأدْلى كلٌّ واحدٍ منهم برأيه: وقال واحد من أهل زوجةِ العزيز: إن كان قميصُ يوسف قد قُطعَ من الخلف، فمعناهُ أنها هي التي أرادتْ به السوء، ولكنه كان رافضاً.
أما إن كان القميص قد قُطع من الأمامِ فمعناهُ أنه هو الذي أراد ذلك وهي رافضةٌ لذلك، وطلبوا حضورَ يوسفَ عليهِ السلامَ، فوجَدوا أنَّ قميصَه قدْ قُطعَ من الخلفِ، وهنا ظهرَ الحق للجميع وتأكَّدوا أنَّ نبيَّ الله يوسف لم يعتدِ عليها، وأنها هي التي أرادت ذلك، ولكنها مع ذلك أصرَّت علي أن يَدْخلَ نبيُّ الله يوسفَ السجن.
فأدخلَه عزيزُ مصرَ السجن.
كان السجنُ أمراً صعباً وقاسِياً علي نبيَّ الله يوسف عليه، ولكنه صبر.
وتكلمت النساء في شأن السيدة زليخة التي عشقت عبداً عندها وهو سيدنا يوسف وحاولت أن تفعل الفاحشة معه فلما رفضَ أودعتُه السجنَ، فما كان من زوجة العزيز إلا أن جمعت النسوةُ من كبيرات القوم في بيتها وأعطت كل واحدةٍ منهن سكيناً لكي يقمن بتجهيز بعض الطعام حتي تشغلهن بذلك، ثم طلبت يوسف عليه السلام وقالت له: ادخل عليهن، ولما دخلَ عليه السلام عليهن، ورأت

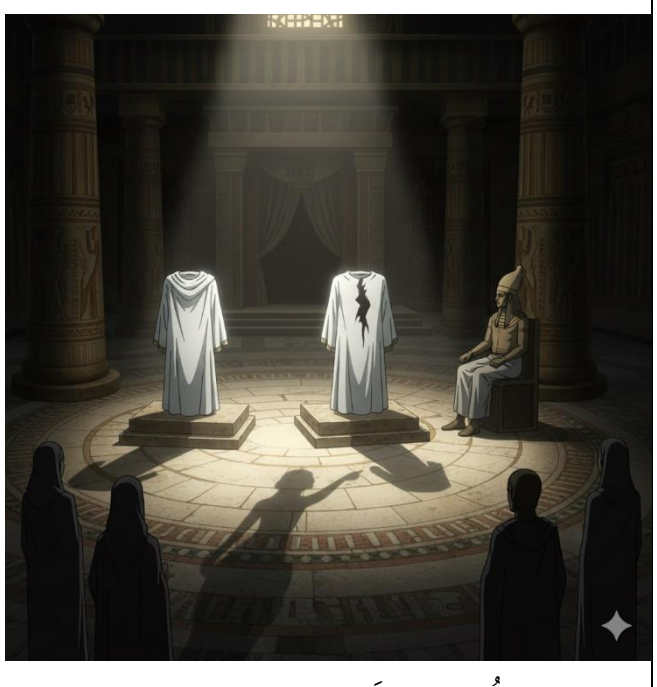

النسوةُ جمالَه وحيويته ونوره وبهاءه تعجبن، وارتبكن فقطعت السكاكين أيديَهُنَّ.

وقالت لهنَّ صَراحةً: إن لم يُطاوعْني فيم أريدُ، وهو ارتكابُ الفاحشةِ سيكونُ مصيرهُ السِّجنُ، ولكن نبي الله يوسف قال: السجن أحبُّ إلي من فعلِ الفاحشة.

فكان مصيره السجن عليه السلام.

ومكث سيدنا يوسف في السجن سنواتٍ عديدة.

أحبه من كان معهم في السجن، ووجدوا فيه صفات الورع والخير، واشتهر بينهم بتفسيرِ الأحلامِ، وطلبَ منه اثنانِ أنْ يفسرَ لهما حُلماً في وقت واحد. الأول كان ساقيَ الملك، وقد تآمر مع غيره ووضع له السمَّ في كأس الخمر، وتم اكتشاف المؤامرةِ، وتمَّ القبضُ عليه وإيداعَه في السجن.

وأما الآخرُ فقدْ كان ساقيَ الملكِ أيضاً، ولكنه كان بريئاً لم يَشتركْ في المؤامرةِ.

رأي الأول في منامه أنه يقومُ بعصر الخمرِ أي يعصر العنب ليتخذَ منها خَمْراً. والثاني رأي أن الطيرَ تأكلُ من رأسهِ، وطلبا من نبي الله يوسفَ أن يفسرَ لهما الرؤيتين. فطلب منهما الانتظار، ثم قال أما الأولُ فسوفَ يصبحُ ساقيَ الملكِ، وأما الثاني فسوف يُصلبُ وتأكلُ الطيرُ من رأسهِ.

و طلب يوسف عليه السلام من الذي فسر له الرؤيا بأنه سيصبح ساقيَ الملك أن يذكره للملكِ، وأن يقولَ له بأنه مظلومٌ، وبأنه نبي الله يخاف الله، ولم يرتكبْ الفاحشةَ ولم يتعرض لزوجةِ العزيز بسوءٍ.

وتحقَّقَ ما قاله سيدُنا يوسفُ عليه السلام من تفسيره لرؤياهم. وقد أصبح الأولُ ساقياً للملك وصُلب الثاني.

ومرَّت الأيامُ، ونسي الساقي ما طلب منه نبي الله يوسف عليه السلام.

وحدث أمرٌ عجيبٌ لقدْ رأى الملكُ رؤيا أذهلَته، وجعلتُه قلقاً حيراناً، لقد رأى في نومه سبع بقرات سمان أي ثمينة وسبع بقرات عجافٍ أي نحيفةٌ وضعيفةٌ، وقد أكلت السبع البقرات النحيلة الضعيفة السبع الثمينة، ورأى سبع سنبلاتٍ خضر وسبع سنبلاتٍ يابسة أي جافةً وذابلةً.

واحتار الملك في رؤياه، وطلب من المفسرين أن يرشدوه.

وكان الكُهَّانُ في عصره مشهورين بقدرتهم علي تفْسيرِ الأحْلام.

وقالوا جميعاً بأن هذه ليست رؤى حقيقية، وإنما هي أضغاث أحلامٍ، أي أحلامٌ وهمية.

ولكن ملكَ مصر لم يقتنعْ بذلك، وبحث عن من يفسرُ له رؤياهُ التي حيرتهُ.

وتذكرَ الساقي الذي كان مسجوناً مع نبي الله يوسف أن نبي الله يوسف يفسر الأحلام، وهنا قال للملك: لقد وجدت لك من يفسر لك حلمك، وحكى له عن سيدنا يوسف وما حدث له في السجن.

وقال الملك علي الفور: اذهبوا وائتوني به، وذهبوا إلي سيدنا يوسف، فقال: لن أذهب إلي الملك حتي يُحققَ في ما حدثَ بيني وبين زوجةِ العزيز، ويثبت براءتي، وطلبَ الملكُ امرأةَ العزيزِ للحضور بين يديه، ولما وقفت بين يدي الملكِ اعترفت بالحقيقةِ، وأقرَّتْ بأنَّها هي التي ظلمته وأرادت أن تمارس الفاحشةَ معه، وأنه كانَ بريئاً، وسُجن ظلماً.

وظهرَ الحقُّ أمامَ الجميع، وهو براءةُ سيدنا يوسف عليه السلام.

وبعدَها ذهب يوسف عليه السلام إلي الملك، وسمعَ رؤياه، وفسَّرها له وقال: إن تفسيرَ رؤياك هذه، بأنه ستأتي عليكم سبعُ سنينَ شديدةُ الخيرِ، ثم تأتي سبعُ سنينَ أخرى شديدةُ القحطِ، حتي لا تجدوا شيئاً تأكلونه، ويأتي بعدها عامٌ شديدُ الخير وتنتج الأرض النبات الوفيرَ ويفيضُ عندكم العنبُ حتي تعصروا العنبَ الموجود عندكم وتحولوه خمراً من كثرته.

وارتاح الملكُ لتفسير سيدنا يوسف عليه السلام لرؤياه، وقال له: اطلب ما شئتَ.

فطلبَ منه نبي الله يوسفُ عليه السلامَ أن يكونَ عزيزَ مصرَ، وهو المسئولُ عن وزارة المالية في الدولةِ.

وقدْ ماتَ عزيز مصر الأسبق الذي كان زوجاً لزليخة والذي كان قد تبنى نبيَّ الله يوسفُ ثم سجنه بعد أن ادَّعتْ عليه زوْجَتُهُ زليخة ما ادَّعَتْ.

ونفَّذَ الملكُ طلبه، وأصبحَ يوسفُ عليه السلامُ عزيزَ مصر بأمر الملكِ.

وبدأ يوسف عليه السلام في بناء الصوامع لتخزينِ الحبوبِ في السبع سنين التي يزيد فيها الخير، وأقام العدلَ في توزيع خيرات البلاد.

وأحب شعبُ مصرَ يوسفَ عليه السلام حباً شديداً، وخاصَّةً لما علموا أنه نبي فكرموه وأحبوه، وبدأ ينشر

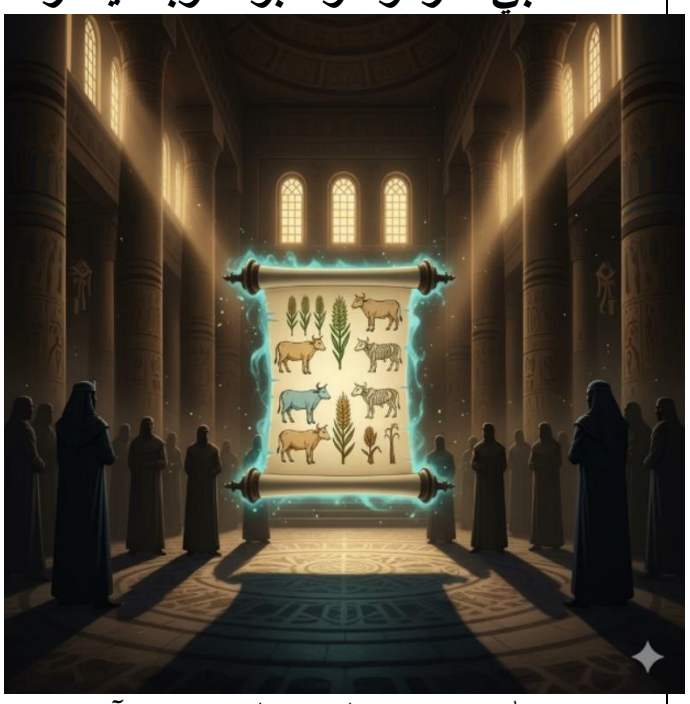

دين الله ويدعو إلي ترك عبادة آمون وهو الشمس.

ومرَّتْ السبْعُ سنينَ الطيِّبَةُ، وجاءتْ السَّبْعُ سنين العجاف أي التي فيها القَحْطُ.

وجاء الناس من كل بلاد العالم يشترون القمح من مصر فهي وحدها التي كانت قدْ خزَّنَتْ القمح وحفظته، لأنها الدولة الوحيدة التي كانَ عندها تنبؤ بذلك، والفَضْلُ في ذلك يرجِعُ إلي نبيِّ الله يوسفَ عليه السلام.

وأصاب القحطُ بلادَ كنعان، وهي التي ولد فيها نبي الله يوسف.

وجاء إخوةُ يوسف عليه السلام، إلي مصر يطلبون من عزيز مصر القمح والغلال.

ولما رآهم نبي الله يوسف عليه السلام، عرفهم ولكنهم لم يعرفوه، فقد كان صغيراً وقت أن ألقوْهُ في البئر.

وأعطى لهم الغلال، ولكنه قالَ لهم: لن أعطيكم قمحاً في المرة القادمةِ إلا بعد أن تأتوني بأخٍ لكم من أبيكم.

وفي طريق العودة تشاوروا في ماذا يقولون لأبيهم: وخاصة أنهم فجعوه في يوسفَ أخيهم من قبلُ، ولنْ يصدقهم هذه المرَّة فماذا يفعلون؟

وخافَ أكبرُهم من مواجهَةِ أبيه بذلك، وقال: لنْ أذهبَ معكم، اذهبوا أنتم إلي أبيكم، وسوف أنتظركم في طريقِ العودة من رحلتكم في هذا المكان.

وعادوا إلي بلادهم، وفي الطريق فتحوا أمتعتهم، فوجدوا أن يوسف عليه السلام قد رد لهمْ أموالَهمْ التي دفعوها له مقابلَ حصولهم علي القمحِ، وفرِحوا بذلك وازدادوا ثقةً فيه.

وعاد إخوةُ يوسفَ إلي أبيهم، وكان قدْ كبرَ في السِّنِ، وأصبحَ مُسناً، وحكّوْا له ما حدثَ، فلم يصدقهم، وقال لهم: إن هذه ربما كانت مؤامرةٌ منكم لتفعلوا به مثلما فعلتم بيوسف، ولكنهم أقسموا: أنهم لم يدبروا شيئاً، فقال لهم: افعلوا ما تشاؤون وليس لي إلا أن ألجأ إلي الله، وهو نعم المولى ونعم النصير، وترك لهم أخاهم يفعلوا به ما يشاؤون، وهو مفوضٌ أمره لله.

وذهبوا بأخيهم إلي عزيزِ مصر يوسف عليه السلام، ودخلوا عليه فلما دخل على يوسف أكرمه نبي الله يوسفُ، وقال له بصوت خافتٍ لم يسمعه أحدٌ منهم: أنا أخوكَ يوسفُ فلا تقلقُ.

وأكرمهم نبي الله يوسف، ثم جهَّزَ لهم ما طلبوا من غلالٍ، وبعد أن أتم تَجهيزها، وضع تاجَ الملِكِ الذهبي وسط الغلال التي تخص أخيهم، دون أن يشعروا بذلك ولكن أخاه كان يعلم كل شيء.

وودَّعَ يوسفُ عليه السلام إخوتَه للرحيل، وحين همُّوا بالانصراف، نادى منادٍ من قِبَلِ يوسفَ عليهِ السلامُ، وقالَ: توقَّفوا يا قوم لأنكم سارقون.

لقد ضاع تاج الملك.

أقْسَموا بأنَّهمْ ليْسوا بسارِقينَ، وطلبوا منه أن يفتِّشَهم جميعاً.

وقام الجنود بتفتيشِ أمتعتهم، وبدأ بهم أولاً، ثم فتَّشَ في رحْلِ أخيه بنيامين، فوجدَ تاج الملك في رحلِ أخيهم الصغير كما أراد نبي الله يوسف عليه السلام، وتعَجَّبوا كثيراً، وقالوا له: إننا لم نعلم عن ذلك أبداً، وهو أخونا من الأب، ونحن برءاءُ منه، وظلُّوا يتوسلون لنبي الله يوسف أن يتركه لهم لأن أباه سيموت كَمَداً لو علم بذلك.

ولكن نبيَّ الله يوسف عليه السلام قال لهم: لا بدَّ أنْ ينالَ عقوبَته، وعقوبةُ السارقِ عندهمْ في ذلك الوقت كانتْ أن يكونَ أسيراً وعبداً عند من سرقهمْ لمدةِ عام، ثم يتركونه حرَّاً بعد ذلك.

ولما يئس إخوة يوسف عليه السلام من إقناعه ولم يقبل توسلاتهم قالوا له: إن كان قد سرَقَ فقد سرق أخٌ له شقيقٌ اسمه يوسف.

سمِعَ نبيُّ اللهِ يوسفَ هذا الكلام فحزنَ، ولكنَّهُ كتَمَ ذلك في نفسه، ولم يردَّ عليهم.

وانصرف الإخوةُ وهم في غاية الحزن، وعادوا إلي أبيهم الذي ازداد حزناً وكمداً أكثر علي أخيهم. ولم يصدقهم.

وظلوا يحلفون له بأنه لم يكن لهم دراية بأي شيء، وبأنه إن لم يصدقهم يذهب ويسأل القوم الذين كانوا معهم، وما كان من نبي الله يعقوب إلا أن قال: وأفوضُ أمري إلي الله وزاد حزنه ثم أصيبَ بالعمى.

ولما وجدوا أباهم قد أصابه العمى، حزنوا عليه، وعادوا إلي يوسف عليه السلام جميعاً يتوسلون إليه ويقصوا عليه ما حدث لوالدهم، ومعهم شهودٌ من بلدتهم ولما دخلوا عليه وطلبوا منه ذلك، قال لهم سيدنا يوسف: ألم تعلموا ما فعلتم بيوسف من قبل؟

كانت هذه الكلمة كالصاعقة علي إخوةِ يوسف.

وهنا تأكدوا كثيراً بأن من فعل ذلك معهم إنما هو أخوهم يوسف.

ونظروا إليه، وتفحصوا ملامِحَه، وقالوا إنك لأنتَ يوسفُ، فقالَ عليه السلام: نعم أنا يوسف وهذا أخي بنيامين، قد أكرَمنا الله.

وهنا سجدوا جميعاً له تقديراً واحتراماً فهو عزيزُ مصرَ، وهذه عادتهم كما قلت قديماً.

وتحققت رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام، و طلبَ منهم يوسفُ عليه السلامُ أن يذهبوا إلي بلادهم ويأتوا بأهلهم جميعاً إليه.

ثم أعطاهم قميصه ليضعوه علي وجه أبيهم، حتي يعودَ إليهِ بصرُه.

أخذَ أحدُهم قميصَه، وعادَ إلي أبيهِ، وحين وجَده وضع القميصَ علي وجهِهِ فعادَ بصرهُ إليه، وأصبحَ أفضلَ من ذي قبل، لأنه علمَ بسلامةِ أولادِه يوسفَ وبنيامين.

ثم اتجَّه إخوْتُه بالأهلِ جميعاً إلي سيدِّنا يوسف عليه السلام في مصر.

واستقبل أبويه وأهله علي مشارفِ مصر، ورحَّبَ بهم وقال لهم "ادخلوا مصر إن شاءَ الله آمنين" وخر أهله له ساجدين، وأكرمَ أبويهِ إكراماً شديداً وأجلسهمْ بجوارهِ علي العرشِ.

وطلبَ إخوتُه منهُ الصفحَ والعفوَ عنهم، فعفا عنهم جميعاً وسامحهم.

وأيضاً سامحهم أبوهم نبي الله يعقوبُ، ودعا لهم الله أن يغفرَ لهم ذنوبهم.

وهكذا انتهت قصةُ سيدنا يوسفَ عليه السلام.

انتهتْ قصَّةُ نبي الله يوسفَ عليه السلام، وقد حكتها لهم جدتهم صَفاء علي فتراتٍ متقطعة، حتي يتشوقوا لها ويعودوا وهم متشوقين لسماع الجزء التالي، وقد كانوا دائماً ما يتجمعون بشغفٍ لزيارتها، وسَماع قِصَصَها وحكاياتِها، ولعل أجملَ ما حكت لهم هو قصة نبيُّ الله سيدنا يوسف عليه السلام.

ومرت الأيامُ، وعاد والدُهم من السفر بالخارج، ليقيم للأبدِ معهم، وقرَّرَ عدم السفر لل للخارجِ ثانيةً، وقرَّر أن يشتري لهم بيتاً كبيراً.

ثم طلب من والديه أن يقيما معهم في المنزل، وقد جهز لهما مكاناً يليقُ بهما.

وأقامَ الجد والجدة معهم، وعاشوا أيَّاماً جميلة، حتي كبروا وحققَ كلُ منهم أحلامَهُ.

وكانوا يتذكرون حكايات جدتهم صَفاء دائماً، فحتي بعد أن تزوجوا وأصبح لكل واحدٍ منهم أسرةٌ مستقلة، كانوا يأتونَ دائماً للاطمئنان علي صحة جدتهم صَفاء والاطمئنان عليها وأحياناً ما يجلسون معها ويسمعون بعضاً من قصصها الجميلة.

الواحة

آية الوشيش حسن
كاتبة. قاصة. ليبيا

(القصة الفائزة بالترتيب الأول في مسابقة القارئ للكتابة الإبداعية- ليبيا).. 2018م

عبست الصحراء في وجه الليل، التفّتْ كافة الحيوانات البرية على صغارها وخيم الهدوء، رقصت رياح القبلي رقصتها المعتادة، ورحل السراب ليستقبل نهاراً جديدا.

أيقنتا أن النجاة كانت كأعجوبة؛ يحدث أن ينجو المرء من الموت، لكن لا مفر ولا نجاة من الحزن!.

أمسكت "آنا" يد "ماتيلدا" وربتت على كتفها قائلة: "لا يكاد المرء يصدق كيف للحياة أن تنقلب رأساً على عقب في ليلة وضحاها!".

كانت آنا قد غلبها الوجع فضمت جربوعها الصغير وانهالت بكاء بينما لا تزال آثار الصدمة تحيط بماتيلدا إحاطة تامة، الأمر الذي مكنها أن تربط جأشها حتى تنجوا!.

قالت آنا والدمع ينهال على خديها:

"هل يمكن أن نعيش وسط كل هذا الشتات، إذا صمدنا اليوم من ذا الذي سيضمن لنا الحياة للغد، ثم أننا نملك صغاراً يا ماتيلدا! ألا ترين أجسادنا هزيلة ووجوهنا متعبة، لا حليب يملأ أثداؤنا، لا شيء يشبهنا سوى الفقد والكثير من الألم".

لم تشأ ماتيلدا أن تبكى، أخفت كل ذاك التيه وحفرت في الصمت لعل صمتاً آخر يخرج عليها فتغرق فيه، فللصمت أوجه عديدة كالاكتفاء والرضا، السعادة أحياناً واليأس وبعض الحسرة. وحده الصمت في حياتنا حياة بمعالم وملامح أخرى، انعدام الكلام الذي يستوعب كل الكلمات.

كانا وحدهما يهيمان في الدفء فلم يطلهما ضجيج ماتيلدا ولا نحيب "آنا"، يمتصان حلمات فارغة لكنها رطبة، يسكتهما الحب كلما اقتربا من أثداء أمهاتهما. أحضان الأمهات ميناء السلام الذي ترسو فيه كل سفن القلق الذي يحملنا لبحر الخوف وشواطئ الغربة، وبهذا الحدث

قد أكملا أسبوعهما الثالث عقب ولادتهما.
الأيام الأوائل من عمر الروح لا تدرك حقيقة العالم ولا تنتبه لما حولها من مخاطر، لم تعي بعد ماذا تعني أدوات الاستفهام الثلاث: متى وكيف وأين. تميز كليهما بوجه ذي علامات فريدة. فَفران ابن ماتيلدا يملك أذنان كبيرتان مكنتاه من أن يحمل ملامح الغباء، لكن براين ابن آنا كانت لديه عينين عميقتين تبدوان كما لو أنهما عينا بومة شاردة في حالة ترقب لفريسة.
انقضت الليالي العجاف ما بين ماتيلدا التي تخطط للحصول على طعام في صحراء تعج بها المخاطر، وآنا التي تهتم بصغيرين وتعلمهما قوانين الحياة التي اختار القدر أن يكونا أبطالها!.
ما أبشع القدر الذي يرسم مالا نريده ويلون أحلامنا بما لا نحب ويغير مساراتنا إلى طرق لا نهواها. للقدر حكمة غريبة حكمة لطالما جعلتنا أمامه كحبة رمل.
كانت ماتيلدا تقفز بين الكثبان تلتقط حشرة من هنا، بقايا عنصل من هناك، القليل من فضلات البشر محبي التخييم في الصحاري حتى التقت في إحدى مغامراتها "بقربي"!.
صاحت ماتيلدا بما امتلكت من علو صوت: قربيل قربيل!.
لم تصدق عيناها لوهلة لِمَ تعتقد أن الحياة التي جردتهم كل شيء وأخرجت أنيابها لهم، ستبتسم ولو قليلاً لتهديها صديق زوجها في نهار صحراوي تبدو فيه الشمس عمودية بتوهج النار.
الحياة بطبيعتها تمتلك عنصر المفاجأة بإمكانها أن تباغتك بما لم تحط به خبراً وأن تخيب آمالك بكل ما أحطت به خبرة أيضاً.
انطلقت مسرعة في اتجاه قربيل، واتجه هو بدوره مسرعاً ناحيتها، التصقا جسديهما بعناق طويل يليق بحجم المعاناة.
ردد قربيل يشوق:
- آه يا ماتيلدا.. ظننتكم موتي، كتبت أسماءكم في قائمة المفقودين.. من معك منا؟ هل كرستوان بخير؟ ماذا عن أولادك؟ ماذا عن آنا؟ هل هي معك؟ آه يا ماتيلدا عيناك البنية ووجهك وشارباك، إنها أنت, أنت.. إنها أنت حقاً!.
وقفت ماتيلدا بعد ترحيب، أخذ يرتق روحها شيئاً فشيئاً، لقد أسقتنا تلك الليالي الدامية الحنظل يا قربي حينما غارت أسراب الطيور الجارحة على مواطننا، هربنا بعائلاتنا إلى جحور النخيل، لكن عبثاً كأن الحزن لم يشبع. هاجمتنا قطعان الذئاب وافترسوا انكويت زوج آنا وكرستوان زوجي وابني دولنت، ومن حسن الحظ استطعت أن أنجو بابني فران، وآنا كذلك نجت مع ابنها براين، وركضنا حتى منتصف الوادي، وعرجنا عقبها لهضاب الكثبان، مكثنا هناك في جحور الصخور الأثرية.
أخذ الحزن يعصر قلب قربيل ويردد: "يا للهول، المصائب حين تجتمع على رأس جربوع".. ثم أردف: "لا يمكن أن تمكثوا للأبد في جحور الصخور، سيشتد الحر وتخرج الأفاعي، كما أنه لا ماء وفير في هذه المنطقة سيحييكم، لابد أن تأتوا معي، لقد عقدنا مجلس تحكيم ولجان طوارئ وأطلقنا حملات تعقّب للأفراد والقبيلة، ونعمل على توفير جحور للمنكوبين. لقد وجدنا واحة تبعد عن هنا مقدار 1000 قدم بشرية، يمكنني حمل الصغار ومساعدتكن للعودة. لا أعتقد أنك ستعترضين يا ماتيلدا، لن تعارضي على كل حال.
غطت الغبطة وجه ماتيلدا، وأخذت تقفز هي وقربيل حتى جحور الصخور الأثرية لتخبر آنا عن جمال الصدف. لم تصدق آنا أن قربيل واقف أمامها. أطبقت يديها على جسد قربيل وأخذت تدور به منتشية بفرح عارم، حتى أغرق قربيل وجهها بالقبل فتوردت خجلاً أمام ماتيلدا!.
كان قربيل من جرابيع القبيلة الشجعان، له رصانة وجلد وهيبة، لكنه مجهول النسب. وقع في حب آنا في مرحلة الشباب، ونشأت بينهما علاقة باءت بالفشل، ما أن علم بذلك والدها غرموفاف - والسيد غرموفاف هذا من رجال الحاكم، فهو يده اليمني ومستشار القبيلة الأول، يحظى بمنزلة اجتماعية مهابة- لم يحلو له مطلقاً زواج ابنته آنا الوحيدة من جربوع يدرب أبناء القبيلة وجندها، يمتلك منزلة أقل وينتمي للعامة ومجهول النسب ومنسوب لدار الأيتام، فسارع بتدبير خطة لإبعاد آنا عنه، فاستأجر جربوعة من نادي الترفيه العالي وضمها للجنة التنظيمية القائمة على مهرجان الحكاية السنوي وأوصاها بأن تروي للحاكم خرموزاف مديحاً يليق بابنته حينما يختارها لخلوته، وأن تحثه على اختيار زوجة من حاشية الحاكم، وأردف وهو يمد لها كيس البذور إذا حدث ونجحتِ فيما أوصيتك به سأعطيك ثلث ما تتحصل عليه ابنتي من بندق وجوز يأتيها كمهر.
نجحت الجربوعة عجفاس التي استأجرها غرموفاف في تحقيق مبتغاه، خاصة وأنها من ذلك النوع اللعوب الذي يحظى بمكر ودهاء الإناث. إن الإناث

بطبيعتهن يحظين بقدر وفير من المكر والدهاء. وسار الحاكم خرموزاف يعقد العزم على تزويج ابنه انكوين من ابنة غيرموفاف "آنا".

كان كرستوان جربوع مثير للجدل، خاصة أنه يمتلك طباع التواضع على غرار أخيه كريستوان الذي كان ميّالا للتفاخر بنسبه العريق ودمائه الملكية النبيلة، وحينما تزوج انكوين من آنا، شعر كرستوان -أخيه- بالحب ناحية صديقتها -ابنته- الباش حكم دار كاتب العدل لدى الجحر الملكي "بربوجير داندون" لذلك سارع الأخير بطلب الزواج من ماتيلدا بربوجير داندون في يوم ظلت قبيلة الجرابيع الكبيرة بقرية الجحور الملتوية تتحدث عن أضخم زفاف ملكي حدث في قريتهم مذ أسّست على أيدي أجدادهم بعد نكبتهم السبتمبرية التي خاض أجدادهم فيها حربا تطلبت أن يجروا تحالفاً مع قطيع مهاري الوادي، لبسط النفوذ على منطقة الجرابيع، وتحصينها ضد عدوهم اللدود أسراب الطيور الجارحة. بطبيعة الحياة لا يكمن للمرء أن يحيا بمفرده إذا لم يتحصّن بالجموع، إنه قانون التوازن العجيب, فلا لوم على قوي وجد فيك ضعفا، ولا لوم على لئيم رآك كريما.

عادة ما يسحق الطيبون والضعفاء إذ ما اتحدوا. إن الجموع تحمي الجموع، وأن القوة هي الكفة الوحيدة إذا اجتمع معها الذكاء، التي إذا مالت تصلح لصنع حياة كالحياة.

***

قفزت كل من ماتيلدا وآنا مع قبريل وأبنائهن حتى وصلوا لضفاف واحة الكفرة، هناك كانت بقايا قبيلة الجرابيع تتجمع، كل أولائك الذين نجوا من هجوم هو الأكثر شراسة في تاريخهم، والذي حدث عندما حلل شيخ قطيع مهاري الوادي أكل لحم الجربوع، فخرقوا وثيقة التحالف حينما اشتدت عليهم الليالي العجاف فلم يعد هنالك صبّار في واديهم يقيهم الجوع، فاختاروا أن يأكلوا أصدقائهم!. يحدث أن تأكلك أصدقائك أحيانا! الأمر الذي جعل أسراب الطيور الجارحة تنتهز الفرصة وتضرب ضربتها، فتشرّد أفراد القبيلة وأبناءها ومات معظمها وهاجم الباقون قطيع الذئاب.

لا شيء يشبه الحياة حينما تود أن تسخر منك فتجعل من وجعك ألف وجع، وآهاتك سيل هادر من الآهات، وهكذا أمست قرية الجحور الملتوية, خاوية على عروشها ولم ينجو منها إلا 2000 جربوع فقط!.

سارعت أنا وماتيلدا لتفقد قريباتهن، وصديقاتهن وعوائلهن، لكن يا للحسرة، فقدوا العائلة المالكة: الملك والمستشار وكاتب العدل!، ولم يظل من جيشهم ولا حكماء قريتهم وشيوخها أحد، إلا قلائل، وظلت كل منهما تحاول التكيف مع وضعها الجديد، وكيف لجربوعات الدلال أن يؤكلن كباقي العامة ويشربن ويخرجن وحدهن لسد رمق الجوع، تلك اللواتي ظللن طوال العمر يرمقن الحياة بعلو النسب!.

كانت ماتيلدا -حينما تصيب آنا الكآبة- متحسرة على ليالي العمر المهدورة، تضحكها ماتيلدا قائلة: إن الأيام التي نحياها الآن لن تكون أصعب من ذاك الشعور الذي مررنا به ونحن تائهتين في صحراء شاسعة. اعتقدنا فيها بكل ما أتينا من بؤس ويأس أننا انتهينا. افرحي قليلا يا آنا، لقد تبقى لنا أبناء، ولدينا ما يجعلنا نكافح. الأبناء يا آنا شيء من الأمل في هذه الحياة، أنظري لوجهيهما، لشاربيهما، ألا ترين؟. بات البلوغ قريبا وسنحظى بمن يحمي كهولتنا يا آنا.

كانت آنا تضحك كلما قررت ماتيلدا أن تداعبها بشيء من الأمل. يحدث أحيانا -وبشكل متكرر- أن نضحك في حضن الاكتئاب!.

كانت الكفرة واحة جميلة في جنوب ليبيا، سكانها طيبو الطباع، تمتاز بوفرة الماء وجمال الطبيعة، ولها تاريخ يعتز به الليبيون أصحاب النفوذ في تلك الرقعة الأرضية. يكثر فيها النخيل، وتنعم بالأمن، لذلك قررت جموع الجرابيع الناجية أن تخيم هناك على أطراف الواحة. كبر كل من براين وفران، وآن لهما أن يعتمدا على نفسيهما، فحرصت كل من آنا وماتيلدا على تعليمهما فنون الصيد ومواجهة طيور الصحراء الجارحة، وبذلك استعانتا لتدريبهما بقربيل. خلال ساعات التدريب اكتشف قربيل مميزات كثيرة لديهما. فبراين مثلا كان ماهرا في الاقتناص ورسم الخطط للوصول للثمار والإيقاع بالحشرات بسهولة. لكن أذنا فران مكنتاه من الاستماع بوضوح لأي صوت بعيد، وكان بذلك يتنبأ بحدوث أي هجوم من الحيوانات الأخرى قبل حدوثه، الأمر الذي شجع قربيل على أن يعرض اسميهما في ملتقى شجعان القبيلة، الذي انعقد بعد الهجوم الأخير، ليعيد من خلاله بناء قرية الجحور الملتوية على ضفاف الواحة، ولملمة أسر الجرابيع المفقودة والميتة عقب نكبتهم تلك.

في موعد انعقاد الملتقي الرابع أقبل قربيل على براين وفران وألح عليهما لكي يصطحبهما معه. بمجرد أن انخراطا في مهام الملتقى، حتى ذاع صيتهما في أرجاء القبيلة، وكان الجميع يتحدث عن حذق براين وحكمته وطيب قلبه. ونباهة فران وقوة جسمه وبأسه. وذات يوم طلب مجلس شيوخ القبيلة ضرورة أيجاد عدد كبير من الطعام، كي

يتم تخزينه لصالح جحور رعاية الأيتام والعجزة، خلال أيام العجاج السنوية، وصار الجميع في الملتقى يفكر ويخطط لكي يجد مصدر أكل كبير يتمثل في نباتات مختلفة الأصناف والأنواع وحشرات يمكن اصطيادها بسهولة وتخزينها، ولم يجد الجميع أفضل من حديقة السيد سالم آغا، حيث أنه كان رجلا تارقي الأصل، طيب القلب، يمتلك بشرة سمراء تركت الشمس آثارها عليها، وعينان جميلتان مكتظة بالرمش الطويل كما الخيزران، يتلفظ تارة بكلمات عربية وتارة بأمازيغية, كان السيد سالم رجلا محبا للنبات، حيث خصص في رواق بيته حديقة أجاد زراعة القوطة والبقدونس والملفوف فيها، وكانت ممتلئة بأشجار النخيل العالية، والخيرات من الفاكهة والخضروات الكثيرة. ورغم شدة ارتفاع الحرارة بالواحة إلا أن السيد سالم تمكن من جعل حديقته مكانا ملفتا للانتباه، الأمر الذي جعل قبيلة الجرابيع ترى في الحديقة جنة ونعيم لهم، وحينما قام أفراد الملتقى بطرح فكرة الهجوم على بيت السيد سالم ليلا، لقت الفكرة رواجا كبيرة وإعجابا من كافة المنتدبين هناك، أولهم فران، إلا أن قربيل رفض ذلك بشدة، وأخبر المجلس أنه لن يتنازل عن مبادئه ومعتقداته، كون السيد سالم قد سمح لقربيل أن يقيم جحره بعائلته داخل بيته، ولم يتعرض لقربيل بسوء طيلة بقائه بمنزل السيد سالم، إلا أنه أشاد أيضا بحسن معاملته له وتأمين الطعام لعائلته ولبعض العائلات التي تقطن في الجحور المجاورة له، كونه يناصر حقوق الحيوان ويعترف بها في حال لم تسبب للبشر أذىً، كان براين يوافق مبدأ معلمه قربيل ويشد على يده ويحاول قدر الإمكان أن يقنع أفراد الملتقى بضرورة الاستغناء عن فكرتهم، ليحققوا بذلك مبدأ الفضيلة، لكن فران فضل البقاء على عقيدة الملتقى، وأن أيتاماً من الجرابيع الصغار الضعاف والمرضى العجائز منهم أشد حاجة للطعام، خلال أيام العجاج القادم، الأمر الذي أدى إلى غضب عظيم اتجاه كل من قربيل وبراين اللذان وقفا ضده بكل ما امتلكا من حكمة وفضائل.

أصبحت العلاقة بين براين وقربيل متينة، وبات يشعر بشعور الأب اتجاه براين، الأمر الذي ذّكره بأيام الصبا وعشقه الملازم لآنا، خصوصا عقب وفاة زوجة بيتي، بعد أن أنجبت له ابنته سينوري، وهي جربوعة اشتهرت بجمالها، حيث كانت تمتلك ذيلا طويلا يغطيه الوبر الناعم والمميزة بتموج اللونين الأبيض والأسود وعينان لوزيتان حادتا النظر وشاربان منتفخان مثيران. لفت جمالها براين منذ الأيام الأولى التي بدأ فيها بالتردد على جحر قربيل، وصار التردد دائما عقب شعوره بالحب اتجاه سينوري التي بادلته هي بدورها الحب، خاصة صارت مغرمة به أكثر عندما بات اسمه لامعا بين أفراد جيله، وصفاته الطيبة جعلته محبوبا من قبل الجميع. لكن فران الغاضب لم يهدأ بتاتا، وظل يخطط للهجوم على حدائق سكان الكفرة، خصيصا منزل السيد سالم أغا لذي ظل غايته وهدفه الأسمى، وصار يغزو بأفراد من جرابيع ملتقى الشجعان الحدائق والمزارع، أو يسرق الخضروات والفاكهة، وسرعان ما بات انزعاج سكان الواحة واضحا من تكاثر الجرابيع، وصار الجميع يتذمر من انتشارها هنا وهناك، فسارع الحرس البلدي لتنظيم حملات نظافة واسعة المدى للحد من تواجدها، وصار يوزع على السكان مبيدات القوارض المميتة للتخلص من الجرابيع, فيما ضرب براين موعدا غراميا تحت النخل ليتقي بسينوري. ذات مساء أخبرته قائلة:

براين لقد بات حبنا وما تبقى من القبيلة في خطر جراء ما يقوم به فران من جنون، لا يمكنهم مهاجمة السكان بهذه الطريقة، لقد صار وجودنا في منزل السيد سالم مثيرا للقلق. أنا خائفة جدا.

رد براين بعد أن مطّ شفتيه وعبس..

لقد حاولت يا سينوري أن أجتث التهور من جمجمة فران، أنا ووالدك. إن ما يفعله فران سيجعلنا منبوذين في هذه الواحة وسنضطر للعيش في الصحراء الشاسعة، وبذلك سنصبح معرّضين لكافة أنواع الحيوانات الشرسة، ونحن ضعاف إلى الآن، لم نشكل تحالفا أو نجمع قوة ونصنع قرية مجددا، إن هجماتهم الكثير والمتكررة على ممتلكات البشر ستجعل الحروب بيننا وبينهم قائمة ومستعرة، لقد حاولت لكنني فشلت. فران لا يمكن أن يكون حكيما مطلقا ومن لا يملك الحكمة سيعجز عن تفادي المشكلات, الحمقى ياسنيوري دائما وأبدا لا يجيدون التخطيط بقدر ما يجيدون الاندفاع.

حينها خيم الجو الكئيب بعد تنهيدة قوية خرجت من صدر سنيوري، سارع براين بسرقة قبلة من وجنتيها ليزيل من عليها القلق الرهيب. أصابها الخجل لوهلة لكن الحزن أثقل كاهلها فأخبرته أنها استرقت السمع لابنة السيد سالم آغا سرين أثناء محاولتها سرقة بعض الجبن من غرفة التخزين، بأن والدها قد جهز كافة أنواع المبيدات لمكافحة القوارض هذا العام، وهو مقبل على استخدامها في أسرع وقت!.

انتاب براين الفزع لبرهة، وأخبرها بضرورة الذهاب الآن

لنقل الخبر لملتقى الشجعان ومجلس الشيوخ وعليها أن تصل بدورها لبيتها لتحذير أهلها بأنه قد وجب مغادرة جحرهم فورا!.
أخذ براين يقفز سريعا حتى وصل مقر الملتقى فوجدهم على أهبة الاستعداد، متخذين كافة الاحتياط للهجوم على حديقة السيد آغا فالتفت إلى فران وهزه بيده قائلا: (ستوقع بالقبيلة جمعاء في بئر جهنم، هل جننت، إن المدينة بأكملها باتت تستخدم مبيدات القوارض وسينتهي أمرنا، أرجوك قد يبدو في الجبن حكمة أحيانا، سنحاول تفادي العجاج بما نحصل من هجمات متقطعة على مدى فترات متفاوتة، لا يمكن أن تضع كافة جنودك وهم قلة في هجوم واحد قوي، ستخسر يا فران وتعود أدراجك تجر أذيال الهزيمة وستسوء أحوالنا بقدر ما هي سيئة.
لكن فران لم يسمع وأدعى بأن براين خائن ومتعاون مع البشر ضدهم وأنه وهو وسيد قربيل متهمان بخرق مواثيق الوفاء للملتقى، ومن هنا قام بأمر الجنود المتواجدين بتعليق براين حتى الصباح على جذع الشجرة إلى حين إتمام المعركة, حينما برزت قدرات برين في الهجوم عينه رئيس الملتقى لقيادة وتكوين جيش الجرابيع، حماة الديار، وبهذا الأمر أصبح فران صاحب نفوذ, تقدم جيش من شجعان الملتقي بقيادة فران للهجوم على حديقة السيد آغا الذي كان قد قام بتحصين كافة نبتاته ورش أرضية البيت بمبيدات القوارض، الأمر الذي أدى إلى تسمم كافة أفراد الجرابيع وموتهم بمجرد اندلاع الهجوم!.
في حين كانت المعركة قائمة اجتهد براين في قضم حبال القيد بأسنانه القوية حتى فك الرباط وتحرر، وأقبل يهرب بحذر خلال انشغال الجميع بالمعركة، الأمر الذي غيّبه عن أعين الحراس واتجه مسرعا كالبرق لحديقة سالم آغا لينقد أبناء جنسه، لكنه تأخر في الوصول، فقد تفاجأ بأن أولاد السيد سالم قد باتوا يحملون المبيدات وينزلون بسوائل الموت على رؤوس الجرابيع، في حين شهد موقفا بطوليا أي أن السيد قربيل قد قام بحماية فران من إحدى الرشات القوية، حيث قام بتخبئته تحته، وأخذ في استنشاق المبيد بدلا عنه، الأمر الذي أدي إلى نجاة فران من النكبة تلك. عمل براين في إسعاف الجرابيع المصابة ونقلها إلى ميدان الملتقى ليتم تطبيبهم هناك وأخذ يقفز ذهابا وإيابا وكان يجر خلفه فران الذي يعاني فقداناً تاماً للوعي.
في الصباح عندما اجتمعت كافة الجرابيع في الملتقى وسط عويل وبكاء الأرامل واليتامى، كان قد استعاد فران وعيه وبات في تحسن، وصار جاهزا للامتثال أمام مجلس شيوخ الملتقى لتبرير مواقفه جراء ما حدث. هنا كان الحسم.
حينما تقدم كرموشتاف -وهو رئيس الملتقى- متسائلا ماذا حدث , أخبرهم فران أن براين جاء إليه برسالة من سيد قربيل تخبرهم أنه أنظم إليهم وقد جهز لهم المكان وهيئ لهم الأجواء وأن عائلة السيد سالم قد باتت خارج منزلها، متهما براين بأنه جاسوس يعمل لصالح البشر وعليهم مقاضاته وطلب منهم إعدامه شنقا حتى الموت في وسط اندهاش عظيم اجتاح براين الذي بات لا يستطيع النطق، عدا قوله "لكن الجنود شهدوا ما دار بيننا البارحة". رد فران قائلا إنه كاذب وأن كل الجنود لقوا مصرعهم البارحة ولا يوجد من يشهد على صحة ما حدث لنا سواي، وبذلك أخذ مجلس الشيوخ وباقي الجرابيع يطالبون بإعدامه وسرعان ما نصبوا له

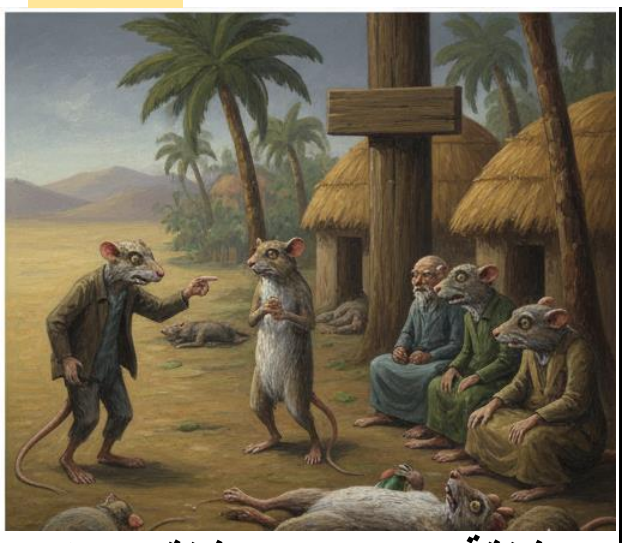

مشنقة وجرجروه وشنقوه حتى الموت وسط صخب من العويل الذي كانت تطلقه آنا قائلة:
ابن عمك يا فران، ابن عمك يا غبي، لحمك الباقي وسندك يا وغد.
كانت آنا تصرخ مستجدية ماتيلدا أن تقف بجانبها، كانت تطلق عويلا يملأ المكان، هي وسنيوري المسكينة، لكن شيئا من الصمت خيم على ماتيلدا التي أودعت كل ما بها من مشاعر في صمتها الأبدي، في لحظة ينهار فيها الود لصالح البقاء ومما لا شك فيه لم يفعل فران ذلك لشدة حقدة على براين إنما لحبه المفرط لسينوري التي قام بإخفائها يوم تتويجه في حفل الملتقى الخامس قائداً للجنود، فيما احتكم الملتقى على تنصيب براين الولي للحكم كونه ابن ولي العهد وسليل الملوك، الأمر الذي جعل الحقد يأكل قلب فران مرددا: حبيبتي والعرش! براين! حبيبتي والعرش !
عقب الحادثة تقلد فران منصب الحكم وصار ذو شأن وتزوج سينوري غصبا بموجب مرسوم من السلطة (الملتقى والشيوخ)، ولكن سينوري أقبلت على الانتحار بعد ولادتها لجربوعها الأول كومبو تاركة إياه يناجي طيف حبيبته مطلقا صرخاته قائلا:
كنت الأكثر حكمة والأكثر. حظا كنت الأجمل والأكثر حبا. كانت تحبك أنت لكني كنت القوي, أخبرتني يوما أنه لا لوم على قوي رأى فيك ضعفا، وأخبرتني

أيضا لا لوم على لئيم رأى فيك كرما، كنت أعتقد أنني القوي، واتضح أنني الأضعف، كنت أعتقد أنني الأكرم فوجدتني اللئيم.
كانت ماتيلدا قد أقبلت على فران في انهياره أمام جثة سنيوري في صمت مهيب أعطته بعضا من الماء ما لبث أن ارتمى ميتا بجانب سينيوري وجلست بجانبهما ماتيلدا تزفر تنهيدة عميقة قائلة: إن ابنة كاتب العدل تعلم كيف يتم العدل. لا خير في ملك يقتل دمه، ولا خير في حاكم يعذب الرعية، ولا خير في غبي يقود قطيع. أقبلت عقب موت فران بجانبها ترفع كومبو من فراشه وتردد: أسال الله أن يحشوك بطباع قبريل ويحميك بطيب سنيوري ولا يلحقك من دنس أبيك شيئا.
صارت ماتيلدا هي الحاكمة بموجب شرع الملتقى، كونها الوصية على ولي العهد، وصار عقبها الجرابيع يرتبون حياتهم وفقا لشروط الحياة بعد أن علمتهم أن الجموع وحدها إذا توحدت صار لها شأن.
سقوط لا نهاية له .

حسن محمد الزهراني
كاتب. شاعر. السعودية

((الشّرفُ الأسمى))

◇ ◇ ◇ ◇

إلى الشموس التي تضيء للبشرية دروب العلم والآداب والمعرفة

إلى كل معلم ومعلمة يشعل نبضه شموعا لأحلامنا.

مَعِيْنُ السّنا من نور عينيك يشربُ
وَسَمْعُ المنى من صوتك العذب يطربُ
توهّجتَ مثل الشمس في كون فِكرِنا
وما غربت ذكراك والشـــــمس تغرب
أضأت عقول العالمين بحكمةٍ
ومَجّدَ ما أســـديت شــرقٌ ومغـــرب
رحيق (الطباشير) الذي (شُرْتَ) شهدهُ
سحابٌ بهِ من ناصــع العــلم صَيّب
أنامِلُكَ البيض التي فاح طيبها
تخطُّ لنا فجـــر العلا حـــين تكتـــب
وصوتك أنغام الحياة لأنّه

إلى أنبل الغـــايات للعقل مركـــب
كِفاحك منقوشٌ على باب مجدنا
وهتّانك الصّافي عن الجود يُعــرب
يمينك سيفٌ يَرْهَبُ الجهلُ حزمها
وصدرك من ساح المحيطين أرحب
فؤادك مأوىً للحيارى يضمّهم
وعطفك نهرٌ من ذُرا الودّ يشـــرب
وأعصابك السّمر الفتيّة سلّمٌ
لإحلامنا تسمــو عليها وتـــدأب
ونقشك في صخر الطفولة ثابتٌ
بهِ صادق الإخلاص والحلم يُضرب
وعمرك في أعمارنا قد نثرته

كَمُزنِ السّما يُسدي الحياة ويذهب
خُلقت كما شاء الإله (معلّماً)
وهــذا وربّ البيــت لِلعــزّ مطلب
وَرِثتَ جميعَ الأنبياء ولم تزل
تــواكب أرقى ما يجـدّ ويخـــلُب
لك الشّرف الأسمى بما نلت إنّما
تُنال المعالي بالكفـــاح وتُكسب
فأنت الذي صغت الحضارات كلّها
صـــنيعك وضّاحٌ وأنــت مُغَيَّـــب
وكل الذي نلقاه في درب عِزّنا
إليك يعــود الفــضل فيه ويُنســب
تُباكِرك الأعوام عِشقاً وتنحني

إلى قدميك المُعصـــرات فتركـــب

وتقضي الليالي ساهر العين عاكفاً

ومصباحك الحيران قربك مُتعـــب

وتنصبك الأسماع في صرح صمتها

شـــــعاعاً بأبهى نـــــورها تتلهـــب

وتبحث في (الأسفار) عن كل نافعٍ

لِتجمع أحـــلى ما يُرَجّى ويُطلب

وتنهكك الأسفار في كل شاسعٍ

ونحـــن كأفـــراخ (القَطَا) نترقّـــب

نراك قريباً بيننا في تواضعٍ

وأنت إلى الجوزاء في القَدرِ أقرب

تُنيرُ لنا عمر السرور ببسمةٍ

تـــفيض حـنـاناً كـل صـبحٍ وتعـذُب

فتفتح أبواب الحياة لِسعينا

وقـــلبك من طـول العـــناء مُعـــذّب

وتمسح أوجان السماء برقّةٍ

إذا طـاح من عِقد المجرّة كـوكب

ألا أيها الممزوج في عُمق نبضنا

لك الشكر من صدق المودّة يُسكب

عطاؤك مدرارٌ . وفضلك سابغٌ .

وذِكرُك من أزكى شذا الطيب أطيب

إباؤك لِلألباب إن بِنْتَ بيّنٌ

لِـــذا أنت للأجـــيال في بـــالنـــا أبُ

إذا كان في الأنساب فخرٌ وعِزَّةٌ

فأنـــــت إلـــى (خـير الـبريّة) تُنسـب

أحمد بن عفيف النهاري
كاتب وقاص. اليمن

من المهادنة إلى المواجهة
بيترو يؤكد أن المواجهة هي الحل ..

في قلب الدوحة، هناك حيث من المتوقع أن تكون من أكثر العواصم أمانا ...، حيث تتموضع قاعدة من أهم القواعد الأميركية في شرقنا الكئيب - جاور الخوف تأمن -، كانت المفاوضات تسعى لتهدئة الأوضاع، لكن وقع ما لم يكن في الحسبان: محاولة اغتيال استهدفت قادة المفاوضات. هذه الحادثة لم تكن مجرد هجوم على أفراد، بل كانت رسالة واضحة من عدو لا يؤمن بالسلام إلا كوسيلة لتحقيق مصالحه. ففي الوقت الذي كان فيه البعض يعتقد أن المهادنة والتطبيع قد يكونان الطريق إلى السلام، جاءت هذه الحادثة لتؤكد أن العدو لا يفهم إلا لغة القوة.

ومع تصاعد الأحداث، برز موقف الرئيس الكولومبي، غوستافو بيترو، الذي شارك في مظاهرة مؤيدة لفلسطين في نيويورك، حيث دعا الجنود الأمريكيين إلى عصيان أوامر رئيسهم ترامب. ردت الولايات المتحدة بسحب تأشيرته، واصفة تصريحاته بأنها "غير مسؤولة ومثيرة للفتن". لكن بيترو، الذي يحمل الجنسية الأوروبية، رد قائلاً: "لا يهمني سحب التأشيرة، فأنا مواطن حر في هذا العالم". هذا الموقف يعكس حقيقة أن المواقف الثابتة لا تُكسر بالتهديدات، بل تُعزز بالتمسك بالمبادئ.

في النهاية، تبقى الحقيقة أن المهادنة مع عدو لا يؤمن إلا بالعدوان لن تجلب إلا المزيد من الألم. وما لم نُظهر وحدة وقوة في مواجهة هذا العدو، سنظل في موقع المتلقي لصفعاته، بينما هو يواصل تحقيق أهدافه على حسابنا.

أكاديمية حكماء الشرق

Academy of Eastern Sages

أكاديمية حكماء الشرق

Academy of Eastern Sages

دراسات، أبحاث، علاقات، إستشارات حكمية، برامج علاجية وتدريب